قلق الفحولة في هجاء النساء (إلى نهاية القرن الثالث الهجري): بواعث القول وجهات الهجاء

د. إبراهيم بن محمد أبانمي*

E.mail: Ibraheem1401@hotmail.com

*أستاذ مشارك – قسم الأدب–كلية اللغة العربية– جامعة الإمام– الرياض– السعودية

قلق الفحولة في هجاء النساء (إلى نهاية القرن الثالث الهجري): بواعث القول وجهات الهجاء

د. إبراهيم بن محمد أبانمي

الملخص:

عُرف الغزل في الشعر العربي، وصوِّرت المرأة فيه مثالاً من أمثلة الكمال الحسي، وفي هذا البحث أستقصي النصوص المناقضة للغزل -حتى نهاية القرن الثالث الهجري- أخصّ تلك التي تذمُّ المرأة المعيّنة، وأستثني التي تذم جنس النساء.

بحثت هنا عن المحرّك الرئيسي لهذا الشعر الذي افترضت أنه (قلق الفحولة) وأن استنقاص الأنثى وسيلةٌ لادّعاء تمام الرجولة، كما حلّلت بواعثه النفسية المتنوّعة، وحاولت فهم علّة هجاء المرأة التي اعتاد الشعر العربي على التغزّل بها أو المحافظة عليها، فجاء هجاؤها مفاجئاً للتوقّع!، ثم حلّلت المعاني الهجائية التي تشتمل عليها الأبيات؛ ونظرت في حقولها الدلالية، وفي مقابلتها للغزل، أو للمديح، وفي موافقتها لهجاء الرجل أو عدمها.

كما سعيت في هذا البحث إلى معرفة محلّ هذا الشعر من مدونة الشعر العربي بعامة، ومدى كونه ظاهرة شعرية.

وقد استعنت في هذا البحث بالأدوات النقدية: النفسية، والموضوعاتية، والثقافية.

مصطلحات أساسية: الهجاء، الغزل، المدح، الباعث النفسي، النقد النفسي، النقد الموضوعاتي.

The Anxiety of Champion Poets in Satirizing Women (up to the end the 3rd Century): Motivations and themes of satire

Dr.brahim Muhammad Abanumay

Abstract:

Amatory is a well-known theme of Arabic poetry in which woman is depicted as an exemplar of sensual perfection. In this paper I investigate texts which contradict amatory in classical Arabic poetry up to the end of the 3rd hijri century. I focus on those which satirize a given woman, and exclude the texts in which the gender of women as a whole is satirized.

I hypothesize that the main motivation for this type of poetry is what I call: "the Anxiety of the champion poets". I analyze its multiple physiological stimulus in an attempt to understand the justification of the unexpected satire of women who is usually either spoken about in love or guarded but not satirized! I then analyze the satirical motifs to assess their semantics and whether they contradict amatory and panegyric and whether they correspond to satire of men or not.

I aim also to situate this type of poetry with the Arabic poetry generally and to assess whether it amounts to a phenomenon. I use several critical methods in this paper including: physiological, thematic and cultural.

Keywords: Satire, Amatory, Panegyric, Physiological motivation, Physiological criticism, thematic criticism.

مدخل:

يرجع أيُّ متصفّح للشعر العربي في أيٍّ من مدوّناته إلى الكثير مِن أقوال الشعراء في المرأة وشجونهم معها، وتغزّلهم بها، وتفصيلهم لمحاسنها، وذكر اشتياقهم إليها، وشغفهم حبًّا لها، ولكنه لا يكاد يقع على الوصف التقبيحي الحسي لها إلا بالتقاطه التقاطاً الحين بعد الحين، أو بأن يجد ذلك الوصف عند نفر من المدوّنين القدماء اعتنوا بتتبّع أبيات هذه الظاهرة الطريفة وجمع شرائدها التي تستطرف؛ لندرتها أمام المتكاثر من ضدها[1].

وإنما يجدر تتبع هذه الظاهرة - وإن قلّت نصوصها-؛ لأنها ستكشف للقارئ مسارب من محرّكات القول ودلالاته لا توجد في شعر الغزل المألوف، أو على أقل تقدير سوف تساعد على إعادة التفكير فيما يظنه القارئ من المسلّمات لكثرة ترديده، وانصراف الذهن عن تأمل ما اعتادت العينُ الوقوعَ عليه.

وقد عمدت في هذا البحث إلى تتبع ما قيل في النساء ذماً واستقصائه؛ لدراسته، وتأمّل معانيه، وفحص مقابلته لمعاني ضدِّه -أعني الغزل- ووضع هذا الشعر موضعه في منظومة الأغراض الشعرية، وتبيّن محله من معاني الغزل والهجاء، وتدبّر محرّكاته وبواعثه التي قد تكشف شيئا عن الحركة الشعرية إنشاء وتلقيًا.

وأشير إلى أن هذا البحث لا يعتني بقراءة موقف الثقافة بعامة من المرأة، أو يحاكم ذلك الموقف، فذلك له موضع من القول مختلف، كما أنه لا ينظر في أشعار ذمّ جنس النساء بعامة، أو وصف مباينتهن للرجال، بل يؤطر النظر في محل البحث ومناط اشتغاله، وهو الأشعار التي تهجو (المرأة المعيّنة) التي لها صلة بالرجل؛ وذلك لكون ذلك الهجاء يعدّ انزياحاً عن أفق التوقع المترسّخ في الشعرية العربية، الذي إذا ذكر المرأة المعيّنة ذكرها في سياق غرض (الغزل) -إذا لم تكن قريبة الشاعر- بكل ما يحويه ذلك من معانٍ تصف الأنثى أو رغبة الرجل فيها -مع الوعي بأن تصوير امرأة معيّنة بحمد أو بذمٍّ لا يعمّم على جنس النساء- أو ذَكَرَها في مَعاني المحافظة عليها، إذا كانت قريبة من محارم الرجل، وذلك هو المشهور المتوقع الذي يشكّل أفق التوقع لدى القارئ[2]، مع التنبيه على وجود أنساق مغايرة له مختلفة شتى في وصف النساء حسّيّاً ومعنويّاً.

ولا شك أن هذا البحث يقتضي تتبع ما قيل في هجاء النساء في المدونة الشعرية العربية، وقد اجتهدت في ذلك ما وسعني، كما أن النظر في شعر الهجاء هذا سيكون مصحوبا -وإن لم يُكتَب- بالنظر في الصورة المثال -المشتهرة- التي بناها غرض (الغزل). وقد عملت في هذا البحث وفق منهج مركّب رأيت أنه قمينٌ بالإجابة عن أسئلة البحث وفرضياته وفهم محركات القول ودوافعه الخفية؛ إذ قسمت البحث قسمين، أما الأول فاتبعت فيه منهجاً نفسياً ثقافياً، وسعيت إلى كشف محركات الهجاء النفسية الدفينة، وارتباط ذلك بثقافة المجتمع في تعامل الجنسين، وسعيت إلى الكشف عن الأنساق الثقافية الكامنة، أما في القسم الثاني فقد استعملت المنهج الموضوعاتي، وتتبعت جميع الثيمات الهجائية الواردة في هجاء المرأة، وحصرتها، مستكشفا دلالات استعمالها، ثم ركّبت النتائج وختمت البحث.

ويحسن أن أشير إلى أن هذا الموضوع قد حظي ببعض الدراسات -وبخاصة في (هجاء الزوجات)- إلا أنها تركت مجالا للقول واسعاً بعدها[3]، وأرجو أن يكون في عملي إضافة لمن سبق في هذا المجال.

وصف المدوّنة:

ليس القول الهجائي في أعيان النساء كثيراً في الشعر العربي، بل هو عزيزٌ طريف، وقد استقصيته في مظانه، فخرجت من ذلك بمدونة بلغت (480) بيتاً، في (111) نصاً، منها (271) بيتا في هجاء الزوجات ومن في حكمهن كالمطلقات، و(187) بيتاً في هجاء غيرهن، وقد بوّب لهذه الظاهرة بعض أصحاب المدوّنات والمجاميع الأدبية، لعل أهمهم أبو تمام في حماسته[4]، كما أورد الجاحظ نُبَذاً في من

هجا امرأته ومن هجته امرأته في (الحيوان)[5] وأفرد ابن أبي عون بابين في هجاء القيان وهجاء النساء في (التشبيهات)[6]، وكذلك فعل صاحب (التذكرة الحمدونية)[7] و(الحماسة البصرية)[8]، كما اشتهرت هذه الظاهرة عند بعض الشعراء، وعلى رأسهم دعبل الخزاعي، وابن الرومي[9] .

كما أن هذه الظاهرة ليست مرتبطة بالحياة العربية القديمة، أو الحياة المدنية بعد الإسلام، وبعدما استقر بالعرب الحال في الحواضر، بل نجد أبياتاً متكاثرة للأعراب – لا يمكن تحديد زمنها، وإن ظننته يبدأ من الجاهلية- ونجد كذلك جذوراً لهذه الظاهرة عند الأعشى، ودريد بن الصمة، وأعشى بني حرماز، ثم نجدها عند المخضرمين، مثل حُميد بن ثور، والحطيئة، وجران العود، والرحّال بن محدوج، كما نجدها متسلسلة بعد ذلك عند شعراء منهم مسكين الدارمي، والفرزدق، ثم ترد عند كثير من الشعراء كأبي نواس ودعبل وابن الرومي وابن المعتز.

وعليه فإن هذه ظاهرةٌ شعريةٌ في مجمل الشعر العربي القديم، لا تختص بزمن، وقد رصدت شواهدها حتى نهاية القرن الثالث، مفترضاً أن تلك القرون كلها تصلح لتمثيل الثقافة العربية وشعرها في صدرها الأول. مع الإشارة إلى أن أي تقسيم زماني للثقافة إنما هو تقسيم مفتعل؛ لأن جذور الثقافة وبذورها تتسلسل وتتناسل، ومظاهرها تقوى وتضعف، وتبرز وتتوارى، ولكنها لا تختفي وتفنى، ولو فنيت -جدلاً- فإنه لا يمكن رصد زمن فنائها.

ومن جهة أخرى فإنني قد افترضت قبل جمع المدوّنة أنها ستخلو من هجاء النساء القريبات؛ لما يقتضيه العرف العربي من المحافظة عليهنّ، وأنها ستقتصر على هجاء الغريبات، أو هجاء الحبيبات ممن صرمن حبل الود، غير أن المدونة كذّبت هذا الافتراض، وذلك عندي من العجب، ويقتضي التفتيش عن محركات القول وبواعثه، إذ أستطيع تقسيم المدونة إلى قسمين رئيسين كبيرين، أولهما: هجاء الغريبات، ومما يشمل هذا القسم هجاء الحبيبات والقيان والمغنيات، وثانيهما: هجاء القريبات، وأكثره في هجاء الزوجات، مع نصوص قليلة جدا في هجاء الأم والعمة والبنت والكنّة.

وإن هذا الهجاء للقريبات يتناقض مع المتوقع من الذود عنهن، ومدافعة من قد يصفهن بما يشين أعراضهن؛ ولذلك فإن البحث فيما يلي سيتفرع إلى محورين رئيسين، تحتهما سائر المسائل، هما: (دراسة محركات القول وبواعثه)؛ لفهم أسباب هذه الظاهرة الثقافية والنفسية والاجتماعية، ثم (دراسة معانيه) لمعرفة ما قد يقال في الغريبات ولا يقال في القريبات أو العكس، ولمعرفة التقابل والتغاير بين معاني هجاء المرأة والتغزل فيها، وكذلك بين معاني هجاء المرأة وهجاء الرجل.

محركات القول وبواعثه:

تتنوّع النصوص المقولة في هجاء النساء تنوّعاً كبيراً، يمثّل تشعّبات شواغل النفس الإنسانية، وتعقّد العلاقات الاجتماعية الخاصة والعامة، ويبدو للباحث أن اكتشاف محرّكات الهجاء العامة، وبواعثه المباشرة ليس عملاً قريب المأخذ، ولربما لا يمكننا الوثوق بالنتائج التي سترشح، أو الركون إلى صدقها؛ لأن مثل هذا العمل ينهض برصد القرائن، وقراءة المستويات العميقة من النصوص، ولا يمكن أن يستفاد من ظاهر معاني النص، إلا إذا صرّح الشاعر بالبواعث، أو ورد مع النص الشعري خبرٌ يكشف سياقاته، ولكننا لا نكاد نجد هذا ولا ذاك.

ومع ما تقدّم فإن النصوص تقدّم مفاتيح تكشف محرك القول فيها وبواعثه، وسأحرص على اقتناص تلك المفاتيح؛ لبناء تصور عن سبب نشوء هذا الشعر المفاجئ لأفق التوقع، والمخالف لسياقات تغزّل الرجل في المرأة، أو ذياده عنها ودفعه كل ما يسوؤها.

وقد افترضت أن جانبا كبيراً من الشعر الهجائي المقول في المرأة هو تعويضٌ لمركّب نقص، يشعر به الرجل في رجولته، وتنفيسٌ عن بعض ما يجده من

ضعف في أسباب الرجولة ومقتضياتها، وما تتطلّع إليه المرأة في الرجل، أو يوجبه المجتمع عليه من واجبات. ذلك ما افترضته، ووجدت جانباً كبيراً من المدوّنة يصدّقه، وكأنما يدفع الرجل ما يقلقه تجاه اكتمال رجولته وإثبات فحولته بأن يضع الإزر على المرأة، وهذا لونٌ من ألوان التعويض النفسي، ولا يمكن أن نغفل هنا عن أثر مجالس التماجن أو الإخوانيات والمسامرات في استنبات هذا اللون الهجائي، وأن كثيراً منه يقال للإضحاك، أو للتفنن، ولكن هذا لا يكفي وحده لتفسير بواعث هذا الشعر، فالبواعث النفسية متنوّعة ومتداخلة، وتصيير شيءٍ ما هدفاً شعرياً لا يكون صادفةً، ووجود باعث قوليٍّ كالتفنن والاستضحاك لا ينفي وجود باعث آخر قد يكون أهمّ منه أو يساويه، وفيما يلي سأستعرض ما أراه (بواعث) للقول أراها تؤكد صحة ما افترضته من أن (المحرك) الرئيس لهجاء المرأة هو (قلق الفحولة) [10] وتعويض نقصها.

العجز المادي والاجتماعي:

الرجل هو المكتسّب الذي يسدّ حاجات أسرته، ويبني مكانته الاجتماعية في محيطه بأمور منها مقدار ما يملك، ومقدار ما ينفق، فإذا كان قليلٍ ذات اليد، أو ضعيف الحيلة هانَ على نفسه، فضلاً عن هوانه على مجتمعه أو امرأته، فالمرأة كثيراً ما تُتَّخذ وسيلةً «للتعويض عن المهانة التي يلقاها الرجل المقهور اجتماعيا، وللتعويض عن قصوره اللاواعي بإسقاطه على المرأة ... إنه يتنكر لعاره الاجتماعي ... يتحرر من مسؤوليته، ويتجنب تفجر القلق الشديد»[11]. وفي المدوّنة نصوص متنوّعة نجد فيها قرائن تشير إلى أن دافع الهجاء هو نقص المال، والعجز عن الاكتساب، ولعل من بواكير النصوص في ذلك قول أعشى بني مازن بن عمرو بن تميم: (من مجزوء الرجز)

يا سيدَ الناسِ وديّانَ العربْ

إليكَ أشكو ذربةً من الذَّرَبْ

خرجت أبغيها الطعامَ في رجبْ

فحلقتني بنزاعٍ وهربْ

أخلفَتْ العهدَ ولطّتْ بالذنب

وهنّ شر غالبٍ لمن غلبْ[12]

ومن النصوص التي تشير إلى عجز الرجل عن الوفاء بما يوجبه المجتمع على الرجال من مسؤوليات تجاه النساء، ولا سيّما الإنفاق، فتراه يعالج عجزه بذّم النسوة؛ تنفيساً، وتعويضاً، قول «صاحب جيداء»: (من الوافر)

جزاكِ اللهُ يا جيداءُ شرّا

لبذلةِ أَهْلِ بيْتٍ أَو لِصَوْنِ

تُعينُ عليَّ دَهْرِيْ ما استطاعتْ

وليستْ لي على دَهري بعَوْنِ[13]

إن عقدة النقص تنبثق من شعور الفرد بنوع من العجز الصحي أو الذهني أو الاجتماعي، ثم يكون التعويض، الذي هو حيلة دفاعية قد يظهر بعدّة مظاهر، منها العدوانية والثأر والانتقام، ويربط بعضهم كل العقد بعقدة النقص، وبآليات التعويض[14]، ومن ألوان العدوانية هجاء المرأة إذا ضعفت حال الرجل!.

وقد يكون دافع الهجاء هو هذا العجز المشار إليه مع الإضحاك للاستعطاء، وذلك كقول أبي دلامة: (من البسيط)

ما زلتُ أخلصُها كسبي فتأكلهُ

دوني ودونَ عيالي ثم تضطجعُ

شوهاءُ مَشْنَأَةٌ في بطنِها ثَجَل

وفي المفاصلِ من أوصالِها فَدَعُ

ذَكّرتُها بكتابِ الله حرمتَنا

ولم تكن بكتابِ الله تنتفعُ

فاخرَنطمتْ ثمّ قالَتْ وهي مغضبةٌ

أأنت تتلو كتاب الله يا لُكَعُ؟!

اخرجْ لتبغِ لنا مالاً ومزرعةً

كما لجيراننا مالٌ ومُزْدَرَعُ[15]

ومن النساء اللاتي يكثر هجاؤهن: العجائز، ولا شك أن التفتيش عن محركات هجاء العجائز مهم، وهو في الآن نفسه مربكٌ؛ إذ إن الرجال إذا كبروا يوصفون بالحكمة ونضج التجربة، ولا يكاد يُعرف هجاء للكبار بصفتهم كباراً، فما بال العجائز يهجين؟!، والذي يظهر لي هو وجود عدة بواعث، منها (العجز المادي أو الاجتماعي)، فالشاعر إذا كان عاجزاً عن نيل ما يحب من ملاعبة الشابات، ويشكو إعراضهن عنه لكبره أو لفقره أو لهوانه اجتماعيا أو لغير ذلك؛ لم يرجع إلى نفسه يلومها، ولا إلى اللاتي صددنه ولم يتطلعن إليه، بل ينفّس بعض ما يجد بهجاء المرأة كبيرة السن التي يرى نفسه مضطرا إليها، وممن يصرّح بنزوعه إلى الشابات وصدودهن عنه، واضطراره إلى الكبيرات هذا الشاعر في قوله: (من الوافر)

رأيتُ البِيضَ قد أعرضنَ عني

فمنْ لي أنْ تساعدني عجوزُ

كأن مجامعَ اللحيينِ منها

إذا حسرتْ عن العرنينِ كوزُ[16]

والذي أنتهي إليه ممّا مضى أن المرأة كثيرا ما تكون هدفاً لهجاء الرجل العاجز، فهو ينفّس بهجائها عن بعض ما يجد من عجزه، ويعوّض نقصه بنسبته إلى غيره، وكأن المرأة هي سبب ذلك النقص، وكأنه كان ينبغي أن توجّه إليها الملامة لا إلى الرجل.

تعويض النقص الجنسي والجسدي:

قد يكون هجاء المرأة ليدفع الرجل عن نفسه بعض ما أخزاه، وليصرف اللوم -في شيء وقع- على المرأة لا عليه، ولعل كثرة ظهور الألفاظ الجنسية في هذا اللون الهجائي، وتقبيح النساء من جهة المفاتن قرينةٌ على أن هذا الهجاء -في عامته- لونٌ من ألوان التعويض عن النقص الجنسي أو الجسدي، وليس من وسيلة لتأكيد ذلك سوى ما نستشفّه من الأشعار التي كأنما يريد أصحابها رمي التهمة بالنقص على المرأة لا عليهم، ولعّل من ذلك قول أحدهم: (من الطويل)

لأسماءَ وجهٌ بدعةٌ من سماجة

يرغِّبُني في نيك كلِّ أتانِ

بدا فبدتْ لي شُقَّةٌ من جهنم

فقمتُ ومالي بالجحيمِ يدانِ

وغادرتُ أصحابي الذينَ تخلّفوا

بما شيتُ من خزيٍ وطولِ هوانِ[17]

قد تدل هذ الأبيات على أن صاحبها عجز عن المرأة، فـ(غادر) وانصرف قبل انفضاض المجلس وانصراف أصحابه، فكان هجاء صاحبته ووصمها بالقبح والتنفير؛ لتكون هي علة فشله وسببه. ويكون هو منزّهاً، لا يمكن لأصحابه الهزء به، أو لمزه بهذا الحادث الذي وقع.

وممّا قد أدّعي دخوله تحت هذا الباعث بعض ما يرد من أشعار دعبل في هجاء النساء، إذ أحصيت في ديوانه ست عشرة قطعة في هجاء النساء هجاء مقذعاً وليس فيه من غرض الغزل إلا ست قطع باردة، والمتوقّع العكس عند كل شاعر سويّ، فما الذي جعل الغرض المشتهر (الغزل) ضعيفاً عنده وقوّى ضدّه -أعني هجاء النساء-؟ هل كان دعبل يعوّض النقص الذي يعانيه بأن يتعالى على النساء، ويشتمهنّ، ليسوّغ انصرافه عنهن؟ لا يمكن الجزم بذلك، وإنما هو تظنٍّ قد يدلّ عليه ما يرويه الزجّاجي في خبرٍ يشرح به سبب إنشاء دعبل لإحدى قطع الهجاء، وأنه قد «عوتب دعبل بانصرافه عن النساء؛ فتزوج امرأة، فأقامت عنده ليلةً ثم خلّاها!، فقيل له في ذلك، وأنشأ يقول» أبياتاً مطلعها: (من المتقارب)

رأيتُ عجوزاً وقد أقبلتْ

فأبدت لعينيّ عن مبصقةْ[18]

وأي شيء يدفع دعبلاً ليهجو امرأة سرّحها بعد ليلة؟!، ويوجعها بالهجاء، ويبالغ في تقبيحها!، ويؤذيها بالسب بعدما آذاها بالطلاق؟! أهو تعويضٌ نفسيٌّ عن نقص الشاعر؟ هل كان دعبل غير تامّ القدرة مع النساء؟ لا يمكن الجزم بمثل ذلك، ولكني أظنه ظنّاً، لقرائن منها الخبر الذي مرّ متضمناً الزعم بانصراف دعبل عن النساء، ومنها أن لدعبل نصين اثنين يتحجّج فيهما لمن يرغب عن النساء(19)، ومنها ما قدّمته من برودة شعره في الغزل ووهْيُ معانيه، وأحسب أن كل هذه القرائن لا تصمد عند التحقيق، ولا تتجاوز الظنّ، وبخاصة أن دعبلاً شاعر هجّاء، وسترد له فيما يلي قطعتان في باعثين آخرين، ولكن لو لم يصدُق هذا الباعث في وصف دعبل وشعره بخاصة فإنه لا يعني فقدانه في هجاء النساء بعامة؛ لأنه باعث نفسي أصيل، وإن تعسّر القبض على دلائله.

وقد يكون التعويض الرجولي في جانب القوة الجسدية، والسيطرة والقوامة، إذ إن الرجل ذا «الجسم الواهن يؤكد ذكورته ... بأن يكون عدوانيا مع النساء»(20)، وقد يكون منه ما يروى أن عماراً ذا كبار كانت له امرأة يقال لها دومة بنت رباح، وكانت -كما يروي صاحب الأغاني- قد تخلّقت بخلقه في شرب الشراب والمجون والسفه، حتى صارت تُدخل الرجال عليها وتجمعهم على الفواحش، ثم حجّت في إمارة يوسف بن عمر فقال لها عمار: (من الخفيف)

اتقي الله قد حججتِ وتوبي

لا يكوننّ ما صنعتِ خبالا

ويك يا دُومُ لا تدومي على الخمْـ

ـرِ ولا تدخلي عليكِ الرجالا

وليس خبر الأبيات مصدَّقاً بالضرورة، ولكن هكذا تقول الرواية، ولعل عماراً جعلها غرضاً لشعره يجرب لسانه فيها، وعلى كل حال فإن الخبر لم ينته، بل يروى أنها ضربته وخرقت ثيابه، ونتفت لحيته، وقالت: أتجعلني غرضاً لشعرك؟! فطلقها، واشترى جارية حسناء؛ فزادت في أذاه وضربه غيرةً عليه، فشكاها إلى يوسف بن عمر، فوجّه إليها بخدم من خدمه، وأمرهم بضربها وكسر نبيذها، وإغرامها ثياب عمار، ففعلوا ذلك، وبلغوا منها الرضا لعمار، فقال في ذلك عمار قصيدة طويلة قبّحها فيها، ومّما قاله عنها: (من مجزوء الرمل)

ولسانٌ صارمٌ كالسي

فِ مشحوذِ النواحي

يقطعُ الصخرَ ويفري

ـهِ كما تفري المساحي(21)

وإن النزاع الذي وقع بين الشاعر وزوجه واستفزاعه بغيره، وعجزه عن فرض قوامته وضبط بيته فيه ما يلحق العيب بالشاعر نفسه، ويحطّ من قيمته، فتراه يعوّض ذلك بهجاء المرأة، وليصرف النظر عن نقص ذاته إلى نقص غيره، ومما يدل على ذلك أيضا أنه في شطر قصيدة الهجاء تلك امتدح امرأة أخرى وتغزّل بها؛ لكي يبيّن أن العيب ليس فيه، وما ذلك إلا تعويض عن النقص .

نزاع الرجولة والاسترجال:

من الممكن أن أضيف هذا الباعث مستقلاً عن السابق، فالمرأة المسترجلة التي تعرف في علم النفس بالقضيبية، هي المرأة التي تحمل صفات من صفات الرجال، تجعل بعض الرجال لا يأتلف معها، وقد تغلبهم على سمات طبعها، وكثيراً ما تكون تسلّطيةً، فيشعر الرجل بنقص فيما يطلبه من أنوثة، وبعجز عن إبداء رجولته(22)، فيحصل الخصام، أو الفراق، وثمّة أمثلة متفرقة من الهجاء بذكر الصفات التسلّطية التي يتأذى الرجل منها، وكذلك ذكر الشبه بالرجال في الأفعال والأقوال، ومن ذلك قول أبي الغطمّش من قصيدة: (من المتقارب)

مُنيتُ بزَنْمَردةٍ كالعصا

ألصَّ وأخبثَ من كُنْدُشِ

تحبُّ النساءَ وتأبى الرجالَ

وتمشي مع الأخبثِ الأطيشِ[23]

والزنمردة كما يصفها المرزوقي في شرح الحماسة هي «المرأة التي خَلْقُها وخُلُقُها كما يكون للرجال»[24].

ولعّل ما يندرج تحت هذا الباعث قول الرحال بن مجدوح واصفاً حالتي امرأته في حسنها الذي دعاه إلى الزواج منا، ثم فيما تكشّف له حين عرفها، وذلك من قصيدة طويلة: (من الطويل)

وما غرَّني إلاّ خضابٌ بكفِّها

وكحلٌ بعينيها وأثوابِها الصُّفرُ

وإن جلستْ وسطَ النِّساءِ شهرتَها

وإنْ هيَ قامتْ فهيَ كاملةُ الشِّبر

فلما برزناها الثِّيابَ تبيَّنتْ

طماحَ غلامٍ قد أجدَّ به النَّقرُ

ألا ليتهمْ زفُّوا إليَّ مكانَها

شديدَ القصيرى ذا عرامٍ من النُّمرِ[25]

ولعل وصفه لجسدها الغلاميّ رمزٌ لما تبيّن من صفاتها الأخلاقية بعدما ساكنها وخبرها، وعجم عودها، ولا سيّما أن القصيدة تصف المرأة بالحسن صراحةً، وتهجوها بما وراء ذلك.

ولا شك أنه لا يمكن الجزم بهذا الباعث في هذين النصين، رغم ما فيهما من قرائن تصف المرأة بالاسترجال، ولكن هذا الباعث -على كل حال- باعث من بواعث مذمة النساء.

الانتقام:

ويقع على المرأة التي لم تمل إلى الشاعر ولا إلى رغبته في تصبّيها، فكانت كأنما أهانت رجولته، ولم تقنع بها، وذلك كأن يخطب الشاعر امرأة؛ فتردّه؛ فيهجوها بمعانٍ لو كانت فيها حقا لما رضي بها ولا خطبها، ومنه ما يروى عن ابن عبدل أنه خطب امرأةً من همدان يقال لها: أم رياح فلم تتزوجه، فقال: أما والله لأفضحنك ولأعيرنك؛ فقال: (من الطويل)

فلا خيرَ في الفتيانِ بعد ابنِ عبدلٍ

ولا في الزواني بعدَ أمِّ رياحِ

فأيري بحمدِ اللهِ ماضٍ مجرَّبٌ

وأم رياحٍ عرضةٌ لنكاحي[26]

ويروى أنه «تحاماها الناس فما تزوجت حتى أسنّت»[27]. ولو كانت هذه المرأة كما يقول لما خطبها، ولو أنها رضيت به لما هجاها، ولكنه شعر بإهانة رجولته، فأراد الانتقام، وممّا يدل على ذلك افتخاره في النص بتمام فحولته!، وهذا اللون من الهجاء الانتقامي ألمس فيه ضعف الرجل عن تحمّل أن يميل إلى امرأة ثم لا تميل إليه ولا تقنع به. ومثله قول الفرزدق في امرأته رُهَيمة النمرية، وقد نشزت: (من الطويل)

لها بَشَرٌ شَثْنٌ كأنّ مضمّهُ

إذا عانقتْ بعلاً مضمٌّ قتادِ

ومازلتُ - حتى فرّقَ اللهُ بيننا

لهُ الحمدُ - منها في أذىً وجهادِ[28]

وقد يكون منه قول محمد بن يَسير في فتاة خطبها: (من البسيط)

أُنْبِئْتُ أنَّ فتاةً كنتُ أخطبُها

عُرقوبُها مثلُ شَهرِ الصَّومِ في الطول

أسنانُها مئةٌ أو زِدْنَ واحدةً

كأنّها حين يبدو وَجْهُها غُولُ[29]

إن ما «يطلبه العاشق هو تحوّل معشوقه إلى عاشق، أو بعبارة أخرى: ما يطلبه العاشق ليس المعشوق ذاته، بل عشق المعشوق، ومن هنا كان الشوق (شوقاً إلى الشوق)»[30] فإذا لم يتحوّل المعشوق إلى عاشق فإنه قد ينزل في منزل الضد البغيض، وقد يستحق الهجاء بعد الغزل، ولا سيّما عند الشاعر

المترفّع الذي يكره ضعفه حين يتصبّى المرأة ويحتاج إلى وصلها، فما بالك إذا كان ذلك في ثقافة شعرية اعتادت استعمال الشعر للأخذ والاستعطاء، واستعماله عند المنع والإقصاء.

الاستمتاع السادي:

وهو من الطبائع الشاذة لبعض النفوس، «يرتبط فيه الإشباع بالتعذيب أو الإذلال الذي يُصَبّ على الآخر»[31]، وقد يفتعل السادي «القسوة الجنسية .. ليستر الضعف الجنسي الذي هو عليه، أو العجز الذي يعاني منه»[32]، والسادية لا تقتصر على عنف الأفعال، بل تشمل عنف الكلام[33]، ومثل هذا الباعث لا يمكن رصده على وجه اليقين، ولكني أشير إليه إذا وجدت قرائن تحيل إليه، مع الثقة بأنه باعثٌ أصيل من بواعث إيذاء الرجال للنساء بعامة، سواء أكان ذلك بالقول الهجائي أم بغيره، وممّا قد يندرج تحت هذا الباعث، ما يروى عن الحسين بن الضحاك أنه عبث بمغنية وجمّشها فصاحت، فقال: (من مجزوء الوافر)

لها في وجهها عُكَنُ

وثلثا وجهها ذَقَنُ

وأسنانٌ كريشِ البطِّ

بينَ أصولِها عَفَنُ

فبكت وكسدت لأجل البيتين، ثم هربت من سر من رأى[34] .

ومما قد أتجرأ وأنسبه إلى هذا الباعث ما نجده عند ابن الرومي من قطع وقصائد متكاثرة في هجاء المغنيات، هجاءً يتجاوز ذمَّ أصواتهن وضربهن على العود، إلى تقبيح خِلقتهن والمبالغة في ذلك مبالغةً لا تكاد تجد لها سبباً، رغم ما عرف عن ابن الرومي من تشقيقه للمعاني وتقليبها، ومن ذلك مثلا: (من الخفيف)

وتراها تستكتمُ الطيبَ والمر

تكَ أسرارَ نتنِها وهيَ تفشو

ريحُها وهْيَ حيّةٌ ريحُ ميْتٍ

باتَ في القبرِ ثم أبداهُ نبشُ

وجهها الأغبرُ المجدّرُ يحكي

جعسَ أمسٍ أصابَ أعلاه طشّ

تتناغى وعودُها بنهيق

كنهيقِ الحمارِ ناغاهُ جحشُ[35]

وممّا يدل على أن الباعث السادي من بواعث هجاء القيان –والنساء بعامة– كثرة ما يرد من معاني تقبيح موضع حيائهن تقبيحاً يتجاوز الحدّ، ويُستنكر، ولا يكاد يقوله ذو النفس السوية[36]، ومن المعروف أن السادي يستمتع بالأذى والإذلال الجنسي الذي يوقعه على شريكه!، ومهما يكن من أمر فإن قرائن الباعث السادي ليست قريبة المأخذ، ولكن السادية باعث رئيسي من بواعث إيذاء الرجال للنساء بل هي «واحدة من المكوّنات الأساسية للحياة النزوية»[37]، وقد لحظ بعض الباحثين أنه [لا تخلو ظاهرة الحب العذري من خصائص السادوماسوشية، من حيث إنه يميل ميلا شديدا إلى تعذيب النفس والغير (أي الحبيب) بدون مبرر واضح أو غاية محددة، وإنما لمجرد الاستمتاع والتلذذ بالألم والعذاب][38]، وبهذا تكون سادية هجاء النساء –في الظاهرة الشعرية العامة– هي الوجه المقابل لمازوشية عذاب الحب العذري. ويميل الطاهر لبيب إلى أن «هناك ما يدفع إلى الاعتقاد بأن الحالة المازوشية كانت ظاهرة جماعية»[39] تمثّلها الشعراء العذريون في الغزل، وهذا وإن غلب الظن على صدقه فإنه لا يمكن إثباته على وجه اليقين في نص محدد، فما بالك بإثبات ضده، أعني رد الفعل الذي تمثله بعض الشعراء على تلك الظاهرة الجماعية، فعذبوا النساء بالهجاء، عوض تعذيب أنفسهم بالتولّه والتشوّق والتحزين. ولو صدّقنا كل ذلك فهل يستقيم أن نسأل: هل هذا الهجاء لون من ألوان الرغبة العارمة، والحب المسيطر الآخذ باللب، وأنه لا يصدر عن كراهية ولا عن شبهها؟! .

والسادية قد تكون جزءا من مفهوم أعمّ، هو (التنمر)، ويكون بالاستقواء، ومحاولة إثبات الجدارة عن طريق الإيذاء أو الإكراه أو الإذلال أو السخرية أو منع العون، والتنمر (العدوانية) مختلف عن السادية بصفته لا يتضمن بالضرورة إشباعا جنسيا بل هو أعمّ من ذلك وأشمل. وهو ناتج عن شعور دفين بالنقص، وحاجة إلى التعويض بإثبات وجود المتنمّر وقوّته وأهمّيّته[40]، كما أن المتنمّر قد يكون هو نفسه ضحية التنمّر، أو يريد لفت الانتباه له، وقد يكون التنمّر نتيجة الغيرة، كما أن التنمّر قد يتضمّن فكرة التجاذب الوجداني كوجود الحب والحقد على المستوى نفسه، وكثيرا ما تبدو الشخصية العدوانية في ظاهرها طيبة مسالمة ولكنها تحمل في داخلها عدوانا هائلا ورغبة في الإضرار تظهر إذا سنحت الفرصة وبخاصة على الأضعف[41].

والتنمّر (العدوانية) كالسادية -مع الثقة بوجوده في كثير من النصوص وبأنه فاعل أساسي في تصرفات الإنسان ونزواته- لا يمكن رصده مصرّحاً به، ولا تكاد تُقتَنَص قرائنه، ومن ذلك أن يهجو أحدهم جارية ليس له بها صلة، ولا يفيده أن يخزيها أو يحزنها، وربما وصف منها شيئاً ممّا لا يمكن أن يراه إلا لو حلّت له، ورغب فيها؛ ثم تراه يبالغ في تقبيحها مبالغة لا يُدرى ما علّتها، ولعل من ذلك قول الناجم: (من مخلع البسيط)

وقينةٍ شتمُها قنوتُ

أحسنُ أصواتِها السكوتُ

مسلولةُ الكلِّ غير بطنٍ

مثقّلٍ فهي عنكبوتُ

وتبلعُ الزادَ والفياشي

فهي من المعنيين حوتُ[42]

مع الوعي بأن هذا النص قد تكون له امتدادات وبواعث غير ما روي ودوّن، ولكنه على كل حال مثال لنصوص أخرى مثله قد يقولها الشاعر في امرأة لا يرجو منها نفعا ولا ضرا، وإن التنمّر صفة من صفات النفس الإنسانية، أو من اعتلالات النفس.

وممّا قد يدلّ على التنمر المبالغةُ في تعداد الأوصاف التقبيحية، فكأنما يسبُّ الهاجي سِبابَ العوامّ في الشارع، أو سباب الضعيف إذا أمن وابتعد، وقد أُعُدُّ من ذلك قول ابن الرومي: (من الخفيف)

قَصُرت شنطفٌ وقلّتْ وذلّتْ

غيرَ بظرٍ تجرّه كالطحال

قردةٌ نردةٌ نواةٌ حصاةٌ

بومةٌ ثومةٌ عظامٌ بوالي[43]

إن المبالغة في إيجاع المهجوة بالهجاء دون أن يكون بين الهاجي وبينها سببٌ لتنافر أو خصومة، ودون أن يكون في الهجاء ما يدل على التملّح وأدب المجالس، إنه -في ظني- يعود إلى واحد من باعثين، هما: التنمّر أو السادية.

وممّا قد يدل على التنمّر وجود ألفاظ كأنما هي تعارك، أو طلب للتعارك، أو هي فعلٌ أو ردٌّه، مثل قول الشاعر: (من الخفيف)

اصرميني يا خِلقةَ المِجدارِ

وصليني بطولِ بُعدِ المزار

فلقد سُمْتِني بوجهكِ والوصْـ

ـلِ قروحاً أعيَتْ على المسبارِ

ذَقَنٌ ناقصٌ وأنفٌ غليظٌ

وجبينٌ كساجةِ القُسطارِ[44]

فطلبه أن تصرمه المهجوّة، يدل على أن علاقته بها مستمرّة حتى قوله الأبيات، وهو إن كان زاهداً فيه فله أن يصرمها، لا أن يطلب منها أن تصرمه، ولكنه في معرض (التنمّر) وطلب الصراع الذي سيغلب فيه وسيثبت قوته طلب منها أن تعاركه وتصرمه لينتصر!، وليشبع رغبته في إثبات قوته وجدارته، وبخاصة إذا كانت عاجزة عن أن تصرمه.

ومما قد يلحق بهذا الباعث أن يشكو الزوج تنمّر زوجته عليه، ويهجوها بذلك، فكأنما يقابل تنمّرا بتنمّر، ومنه قول أوس بن ثعلبة التَّيميّ وكان ممّن صبر على أذى امرأته حتى عِيل صبره فطلقها: (من الطويل)

صبرتُ على ليلَى ثلاثين حِجَّةً

تعذِّبُني ليلَى مِراراً وتصخَبُ

إذا قلتُ هذا يوم ترضَى تنمَّرتْ

وقالت فقيرٌ سيِّئُ الخُلق أشيَبُ[45]

واللطيف في هذه الأبيات تصريحها بلفظة (التنمّر)، ومثلها قول الآخر ردّاً على سِباب زوجته: (من مجزوء الرجز)

سـبّابـةٌ للزوجِ والـحـماة

كـأن ساقيها كُراعا شاة

في قدمٍ كأنها مسحاة[46]

المشكلات الزوجية:

وذلك بعض ما يقع بين الزوجين، ولهذه المشكلات صفة خاصة؛ لأن «هناك ثنائية كبرى تميّز الرباط الزوجي وتشيع فيه، إنها تتمثل في كون القرين هو في الآن عينه الموضوع المرغوب ومصدر الحب والعاطفة والاعتراف والمساندة ورفقة الدرب وشراكة الوجود والمصير»[47] كما أنه قد يكون «العقبة أمام هناء العيش ومصدر نكد الدنيا ومرد الإحساس بحالات متنوعة من الغبن وحتى الحظ العاثر»[48]، فإذا وقع الصراع بين الزوجين نتيجة عدم الرضا بالواقع قياسا إلى المتوقّع فإن ذلك الصراع قد ينتهي بما قد يوصف بـ«الهدر المتبادل، كلٌّ يتشفى من الآخر أو على الأقل يحاول تسجيل المواقف والنقاط»[49] ويصبح الطرف الآخر سببا لتنغيص العيش، عوض أن يكون سببا للهناءة، وخيبة التوقع هذه بين الهناءة والنكد تجعله جديرا بالهجاء أو تجعل الهجاء لونا من ألوان التشفي أو التعويض والتنفيس، فترى بعض الشعراء يذيع ذلك، ويشكو، ويذم زوجه، ويشهّر بها، وبسوء خلقها، وأن الطلاق جدير بها، ومن مشهور النصوص قول جران العود في قصيدة طويلة يذم فيها امرأته بسوء الخلق، ونقص التبعّل، وقبح الهيئة، ثم يشير إلى تردده بين الطلاق والإمساك: (من الطويل)

أَقولُ لِأصحابي أُسِرُّ إلَيهِمُ

لِيَ الوَيلُ إن لَم تَجمَحا كَيفَ أَجمَحُ

أَأَترُكُ صِبياني وَأَهلي وَأَبتَغي

مَعاشاً سَواهم أَم أَقِرُّ فَأُذبَح

أُلاقي الخنا والبَرْحَ من أمِّ حازم

وما كنتُ أُلقَى من رَزِينةَ أَبْرَحُ

ثم يقول واصفاً حظوظ الرجال مع النساء:

وَلَسنَ بِأَسواءٍ فَمِنهُنَّ رَوضَة

تَهيجُ الرياض غيرها لا تَصَوّحُ

وَمِنهُنَّ غلٌّ مقملٌ لا يَفُكُّهُ

مِنَ القَومِ إلّا الشَحشَحانُ الصَرَنقَحُ[50]

ومثله قول عاصم بن خِروعة النهشليّ يذمُّ امرأته: (من الطويل)

إلى الله أشكو أنَّها قدْ تنكَّرت

وأبدَتْ ليَ البغضاءَ أُمُّ محمَّدِ

تُوقِّدُني منها بقولٍ كأنَّهُ

على القلبِ سفعُ النَّار أو حزّ مبرَدِ

كأنَّ عذابَ القبرِ تحتَ ثيابها

إذا لصقتْ تحتَ الخِباءِ الممدَّدِ

فيا ربّ فرِّجْ كُربتي قبل ميتَتي

بواضحةِ الخدَّينِ ريَّا المُقلَّدِ

وإنِّي متى عاتبتُها كانَ عُذرُها

وإعتابُها إنْ كنتَ غضبانَ فازْدَدِ[51]

وكذلك فقد «كانت امرأة أُنيف بن قترة الكلبيّ سيِّئة الخلق وكانت لا تزال تشارّه، فقال: لو أتيتُ بها دمشق فإنَّها أرضٌ وبئةٌ فلعلَّها تموت، فقدم بها دمشق، وقال»[52]: (من الطويل)

دمشقُ خُذيها واعْلَمي أنَّ ليلةً

تمرُّ بعُودَي نعشها ليلةُ القدرِ

شربتُ دماً إن لم أرُعْكِ بضُرَّةٍ

بعيدة مهوَى القُرطِ طيِّبةِ النَّشرِ

يجرِّعُكِ السّمَّ الذُّعافَ لَقاؤها

فتُغضينَ من غيظٍ على لهبِ الجمرِ

تقولُ لكِ الجاراتُ صبراً وإنَّما

يُجرِّعُكِ الجاراتُ كأساً من الصَّبرِ

أما لك عمرٌ؟! إنما أنت حيّةٌ

إذا هي لم تُقْتَل تعشْ آخرَ الدهرِ[53]

والملحوظ في النصوص الناتجة عن باعث المشكلات الزوجية أنها تختلط فيها معان هي: الشكوى، وتقبيح المرأة، والحيرة في الإمساك والطلاق، وإغاظة المرأة بالرغبة في غيرها. والملحوظ أيضا أن هذه النصوص طويلة نسبياً، لأن الرجل محتاج فيها إلى بثّ التفاصيل؛ لأن الحياة الزوجية منذ بدئها تمرّ بمراحل قد يتخالف فيها التوقّع مع الواقع، أو يرتبك فيا ما يسمّى بـ(نهج المتوقعات)، وهي «المجموعة المكوّنة والواعية جزئيا للحاجات والأمنيات التي ينتظرها كل شريك من شريكه الزوجي»[54] وهي حاجات جسدية وعاطفية وعقلية، ويعد (الإشباع) والوفاء بنهج المتوقعات سبباً رئيساً للسعادة الزوجية والاستقرار، ولكنه لا يتأتى إلا بفهم كل طرف للآخر، وبتبادل الإشباع[55]، فإذا شعر الرجل بأن ثمّة ما ينقصه، وأن الطرف الآخر لا يعير حاجات الاهتمام بحسب الذي يتوقّعه من الفعل وردّه، فإن سيعيش ضيقا وألماً لا يفصح عنه مباشرةً بالضرورة؛ لأن من طبعه ألا يطلب العطف أو الإشادة أو التعظيم، بل يريد كل ذلك تلقائياً حسب المتوقّع، وقد ينفّس موجدته بالهجاء.

ومما قد يندرج تحت باعث (المشكلات الزوجية) ما يكون من الملل والضيق من طول المعاشرة، وهذا نجده عند كثير من الشعراء الذين إذا هرموا وهرمت نساؤهم، ذمّوهن بالهرم!، وتغيّر الحال، ونقص الشباب، ولعّل من ذلك قول حُميد بن ثور الذي يصف زوجته بالشيخوخة، ويتشوّق إلى اتخاذ شابة زوجةً له، لولا قلة المال: (من الطويل)

لقد ظلمتْ مِرآتُها أُمَّ مالك

بما لاقت المرآةَ كانَ مُحَرَّدا

أرَتْها بخدَّيها غُضوناً كأنَّها

مَجَرُّ غُصونِ الطَّلْحِ ما ذُقنَ فَدفَدا

فأُقسمُ لولا أنَّ حُدْباً تتابعتْ

عليَّ ولم أبرحْ بدَينٍ مُطرَّدا

لزاحمتُ مِكْسالاً كأنَّ ثيابَها

تُجِنُّ غزالاً بالخميلة أغْيَدا[56]

ومن ذلك ما أشار إليه صاحب (الأغاني) من أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصارية، فطال لبثها عنده حتى ملّها وأبغضها، فقال يهجوها: (من الكامل)

يا رملُ أنت الغول بين رمال

لم تظفري بتقىً ولا بجمال

يا رملُ لو حُدِّثتُ أنك سلفعٌ

شوهاءُ كالسعلاةِ بين سعالي

ما جاء يطلبك الرسولُ بخطبةٍ

مني ولا ضُمَّتْ عليكِ حبالي[57]

ويبدو أن باعث كثير من شعر هجاء العجائز هو التنفيس، والسآمة، وهو لون من ألوان البثّ الذي يبديه الشاعر في كل ما يعرض له في حياته اليومية، ولربما كان ذمّ حال المرأة وتغيّرها مع السنين رمزاً

لكل ما عرض للرجل من تغيّر وضعف وشيخوخة بعد الشباب الفتيّ.

وممّا قد يندرج تحت هذا الباعث أيضاً: (التفاخر القبلي، والصراع الحضاري)، وهو من محركات شعر الهجاء بعامة، ونجد شيئا منه في هجاء الأزواج، إذ لا يرضى الرجل أن تدلّ امرأته بنسبها، أو تراه أعلى من نسبه، وممّا يدل على ذلك أن ابن أبي الزوائد الذي مرّ آنفاً هجاؤه لزوجته كان قد تفاخر معها، وعدّد أجداده لها[58]، ومن الصراع الحضاري أن يتبرم الرجل باختلاف منزع زوجته، وانتمائها إلى فضاء اجتماعي مختلف عنه، وذلك كأن يكون بدويا وهي حضرية، أو يكون من وطن وهي من آخر، وما شابه ذلك ممّا يقتضي بعض الاختلاف، ومنه قول رجل من بني نُميرٍ لامرأته، وكانت حضَرية: (من الطويل)

لَعمري لأَعرابيّةٌ بدويةٌ
تظلُّ بِرَوْقَيْ بَيتها الرِّيحُ تخفُق
أُحبُّ إلينا من ضِنَاك ضفنَّة
إذا رُفِعَتْ عنها المراويحُ تعرَقُ
كبِطّيخةِ البُسْتانِ ظاهرُ جِلدها
صحيحٌ ويبدُو داؤُها حينَ تُفْتَقُ[59]

والشاعر هنا لا يعيب على امرأته إلا أنها حضرية، وبين البادية والحاضرة اختلافات اجتماعية ومعيشية متنوّعة. كما قد تكون المرأة رمزاً للمكان الذي أقام فيه الشاعر بعد رحلته من وطنه، ولربما كرهه أو استوبأه أو حنّ إلى وطنه، فيكون ذمّ المرأة محيلاً على ذمّ المكان كله[60]، والمرأة من أهم ما يساعد الرجل على الاستقرار في المكان، فيكون ذمّها علامة على ذمّ معيشته في المكان.

التندّم على النفقة، والتحسّر على السياق ومؤونة العرس:

وهذا وجدته في كثير من النصوص، إذ يبدو للرجل بعد نيله ما ناله أن ما أنفقه فوق ما حصّله، وقد لا يكون ذلك حقيقةً بل لطبع لئيم؛ فيعمد إلى المرأة يهجوها لينفّس عن بعض ماً يجد من خسارته لماله، ومن أطول النصوص وأشهرها في ذلك قصيدة الرحال بن مجدوح، ومنها: (من الطويل)

فلا باركَ الرحمنُ في عَود أهلها
عشيَّةَ زفُّوها ولا فيكِ من بكرِ
ولا في سقاطِ المسكِ تحتَ ثيابِها
ولا في القواريرِ الممسّكةِ الخُضْرِ
ولا فُرُشٍ ظُوهرْنَ من كلِّ جانبٍ
كأنّي أكوَّى فوقهنَّ من الجمرِ
ولا الزَّعفران حينَ مسّحنها بهِ
ولا الحَلي منها حين نيطَ إلى النَّحرِ
وقد مرَّ تجرٌ فاشتروا لي بناءها
وأثوابها لا بارك الله في التَّجرِ[61]

والقصيدة طويلة أوردت بعضها، وهي تفتتح بمعاني الهجاء، ثم يسرد فيها الشاعر نفقاته من ثياب وحلي، ويشير إلى التجار الذين اشترى منهم، ثم يذكر ما غرّه من المرأة قبل خطبتها، وهو حسنها، الذي لم يستطع إنكاره، كما أنه تحسّر على وليدة دفعها إلى والد زوجته، ولا يدري كيف دفعها، فكأنما كان مخمورا!، وكأنما ندم أن ترك الوليدة -التي هي أقل كلفة ويستطيع بيعها متى شاء- واتخذ زوجةً أنفق عليها نفقة لا تسترد، ثم يختم النص بالوصية بترك الزواج، واتخاذ السرايا:

لقد أصبحَ الرَّحالُ عنهنَّ صادفاً
إلى يوم يلقى الله في آخر العمرِ
عليكمْ بربَّاتِ النِّمارِ فإنَّني
رأيتُ صميمَ الموتِ في النُّقُبِ الصُّفرِ

والمقصود بربات النمار هن الإماء، لأن «النمرة: الجبة الصوف القصيرة تلبسها الإماء»[62].

وليس هذا النص فريداً في ذكره لليلة العرس والمهر، بل مثله كثير، وكأنما هو لون من الاعتراض على ما يوجبه المجتمع على الرجل دون المرأة من إنفاق يرهقه، ومثله ما يروى عن الحكم بن عبدل أنه تزوّج وقال مفتخراً بما ساقه لزوجته: (من الطويل)

لعمري لقد غاليتُ بالمهرِ إنهُ

كذاك يغالى بالنساءِ المواجدِ

فلما دخل بزوجته كرهها! فقال قصيدة يهجوها فيها، ويصف كيف فاوضته على مهرها، ويوعدها بالهوان![63].

وقد يندرج (البخل) تحت هذا الدافع، بحيث يتبرم الشاعر بما ينفق على زوجته على المدى، وقد يكون من ذلك قول أعرابي: (من مجزوء الرجز)

يا رب صبّرني على أمِّ اللَّهَمْ

على جزورٍ ذات سلحٍ للُّقَمْ

كأنما تقذفُ في بحرٍ خِضَمْ

سريعةُ السَّرطِ لحوسٌ للبُرَم

قد هرَّمتني قبل أيام الهرمْ

من عالها فهو حريٌّ بالعدم[64]

ومن طريف الأخبار التي قد تروى فيه هذا السياق، وقد تحتج بها النساء إذا ذمّ البخيل تأنثهن ونضارتهن، أنه كانت لجندل بن الراعي امرأة من بني عقيل، وكان بخيلاً، فنظر إليها يوماً وقد هزلت وتخدّد لحمها، فأنشأ يقول: (من الطويل)

عُقَيلية أما أعالي عظامها

فعُوجٌ وأما لحمها فقليلُ

فقالت مجيبة له عن ذلك:

عُقيلية حسناء أزرى بلحمها

طعامٌ لديك ابنَ الرعاء قليلُ

فجعل جندل يسبُّها ويضربها وهي تقول:

قلتَ فأجبتُ، وكذبتَ فصدقتُ، فما غضبك؟[65]

التنفيس بعد الطلاق:

قد يرى الرجل أن في الطلاق إثارة للجدل الاجتماعي، وتقصياً لأسباب الطلاق، أو يخشى أن يقع اللوم عليه لسبب من الأسباب، أو أن يُظَنّ أنه ضعيف سيتبع قلبُه طليقتَه، ولذلك ظهرت النصوص التي تهجو الطليقة، ومنها مثلا لقتادة بن مُغرِب اليشكري: (من المنسرح)

تجهزي للطلاقِ وانصرفي

ذاك دواءُ الجوامحِ الشُّمُسِ

ما أنتِ بالحَنَّةِ الودودِ ولا

عندك خيرٌ يرجى لملتمسِ

لليلتي حينَ بنتِ طالقةً

ألذُّ عندي من ليلة العُرُسِ[66]

ولابن المعتز: (من الطويل)

ونَقَّبت عرسي بالطلاق مصمِّماً

وكانت حصاةً بين رجلي وأخمصي

فأُبهتَ عذالي وفات الذي مضى

وهُنيتُ عيشاً بعد عيشٍ منغَّصِ[67]

ولغيرهما: (من مجزوء الكامل)

رحلتْ أُميمةُ بالطلاقِ

وعتقتُ من رقِّ الوثاق

بانتْ فلمْ يألمْ لها

قلبي ولم تبكِ المآقي

لو لمْ أُرَحْ بفراقِها

لأرحتُ نفسي بالإباق

ودواءُ ما لا تشتهيـ

ـهِ النفسُ تعجيلُ الفراقِ[68]

كل تلك النصوص تصف هناءة عيش الرجل بعد طلاق زوجته، وأنه بعدها في خير حال، وهذا التأكيد دفاع عن الذات، وإبداءٍ لها بموقف المتماسك، كما أن في تلك النصوص دفعاً للظنّة، وذلك بالتصريح بأن المرأة هي سبب الطلاق ومحل النقص، وليس لعيب في الرجل .

هجاء المرأة أسلوباً لذمّ الرجل:

فالمرأة قد تهجى والمقصود صاحبها زوجاً كان أو وليّاً أو غير ذلك، ويكون الهجاء تعريضاً بالأعراض، أو ذمّا لسوء اختيار الرجل لصاحبته، أو تحقيرا للممتلكات إذا كان الهجاء في الجواري المملوكات، وبخاصة القيان اللاتي هن من زينة مجالس عليةِ القوم، ومن متمّمات السمر، فيكون هجاؤهن حطّاً من قيمة مجلس صاحبهن، وتهويناً من مكانته الاجتماعية، ومما يندرج في ذلك هجاء الفرزدق زوجة جرير بعد موتها، ونقضه لرثاء جرير إياها، وذلك لأن جريرا استثاره وهجاه في تلك المرثية، وممّا قاله الفرزدق: (من الكامل)

كانتْ منافقةَ الحياة وموتُها

خزيٌ علانيةً عليكَ وعارُ

فلئن بكيتَ على الأتانِ لقد بكى

جَزَعَاً غداةَ فراقها الأعيارُ[69]

وما للفرزدق ولهجاء ميتة، لولا أنه يقصد إيجاع صاحبها.

وقد يكون من ذلك قول دعبل : (من السريع)

إن ابنَ زيات له قينةٌ

أربتْ على الشيطانِ في القبحِ

فلو بدتْ حاسرةً في الضحى

لاسودّ منها فلقُ الصبحِ[70]

ومن المعلوم أن دعبلا شاعر هجّاء، لم يسلم منه الخلفاء ومن دونهم، وكان ابن الزيات ممّن مدحهم دعبلٌ وهجاهم[71]، ولعّل هجاءه هذا لجارية ابن الزيات كان تخويفا بهجاء ابن الزيات نفسه. وإيذاناً بإمكان وقوع الهجاء على ربّ الجارية.

ومثله قول أحدهم في بيتٍ دُوّن يتيماً: (من الخفيف)

وهْوَ مستهترٌ ببرشاءَ نمشا

ءَ كحبِ الشونيزِ في الشيرازِ[72]

والهجاء هنا في حقيقته ليس للجارية، بل للمستهتر بهذه التي ما كان له أن يستهتر بمثلها لولا نقص ذوقه بحسب القول الهجائي.

ويقول الناجم يهجو معرّضاً بزوج عجوزٍ: (من المتقارب)

ستُغْبَطُ منها إذا ما أتتكَ

بأوبارِ قردٍ وأدبارِ غولِ

وعانقتَ منها سفا سُنْبُلٍ

يلاقي الضجيعَ بمثلِ النصولِ[73]

وإن هجاء المرأة كثيراً ما يلحق من تنتسب إليه المرأة، ويفترض به حمايتها، ومن جهة أخرى فإن هذا هو سبب العجب أن يهجو الرجل صاحبته، أو موليّته، فكأنما يهجو نفسه، أو يردّلها؛ وبهذا فهو يخالف أفق التوقع.

الخلافات الأسرية :

افترضت ظهور هذا الباعث في النصوص التي تهجو القريبات سوى الزوجات، ولكنني لم أعثر على نصوص تنهض بهذا المبحث –في القرون الثلاثة الأولى وما قبلها– إلا نزرا يسيراً (في هجاء الأم، والبنت، والعمة، والكنة) لا يكاد يوصف بالظاهرة، ومهما يكن من أمر فإن هذه النصوص لا تكاد تخرج عن سبيلين، أولهما أن تكون نتيجة خلافات أسرية، والثاني أن تكون للإضحاك والاستعطاء، ولست هنا في معرض تقويمها أخلاقياً، مع ما قد تثيره من العجب حين يهجى من الأقارب من لا يتصور في حقه غير الإكرام والتوقير. وإن أشهر من هجا قريباته

الحطيئة الذي هجا أمه في ثلاث قطع[74]، وأحر به أن يهجوها؛ إذ لم يستثن نفسه ممن وقع عليهم هجاؤه، ويظهر أنه يهجو لأدنى سبب، ومن النصوص النادرة في هجاء الأم أن أم النُّحَيف (وهو سعد بن قرط) نهت ابنها عن الزواج بامرأة فعصاها، ثم لم تحمد العاقبة؛ فقالت في ذلك أبياتا تذم فيها المرأة، وتعاتبه، وتصبّره عليها، وتعده بغيرها، وأبياتها من المختار في الحماسة[75]، فأجاب ابنها بهجائها!: (من البسيط)

يا ليتما أمنا شالتْ نعامتها

أيما إلى جنةٍ أيما إلى نارِ

ليستْ بشبعى ولو أوردتها هجرا

ولا بريّا ولو صافتْ بذي قارِ

خرقاء بالخير لا تُهدى لوجهته

وهي صناعُ الأذى في الأهل والجارِ[76]

ولهذه الأبيات خبر غير هذا، إذ يُروى أن ابنها كان شريرا ضعيفا عاقّا، وكان يهجوها، وهي تعظه فلا يتعظ، وتحذّره شعراً، فلم يزل به شرُّه حتى وثب على ابن عمّ له فدقَّ عنقه، فقالت أمه أبياتا كأنما تشمت به[77]، وإن من النادر جدا أن تجد تهاجياً بين أمّ وابنها، بل لعلّ هذا الخبر فردٌ في بابه.

ومن النصوص في هجاء القريبات قول أعرابي: (من مجزوء الرجز)

إن لنا لكنّهْ سمعنّة نظرنّهْ

مِفَنّة معَنّهْ كالذئب وسط العنّهْ

إلا تـــــره تـــــظـــنّـــــــهْ[78]

وباعث مثل هذا القول فيما يبدو ما يقع من مشكلات بين الرجل والكنّة، بقرينة إشارته إلى مبالغتها في السماع والنظر والكلام حتى إنها إذا لم تجد شيئا مريباً تظنّنته تظنناً، وأفسدت كما يفسد الذئب. وممّا يندرج في هذا ثلاثة نصوص لعمرو ابن أمية الأموي في عمّته يهجوها، ويرميها بمتطبب نصراني يقال له وهب، يظهر أنها تزوجته على خلاف ما أحبه لها أهلها: (من السريع)

لا بارك الرحمن في عمتي

وزادها في غيّها ضعفهُ

ما زُوِّجتْ من رجل سيدٍ

يا زيدُ إلا عجلتْ حتفهُ[79]

كما وجدت ثلاثة نصوص في هجاء القريبات –سوى الزوجات–، وذلك للإضحاك والاستعطاء، اثنان منهما لأبي دلامة أنشدهما المنصور، وهجا فيهما أسرته وأمه[80]، على نحو يشبه ما تقدّم من هجاء زوجته، والآخر لأبي النجم –وهو المتقدّم زمناً– أنشده هشام بن عبدالملك في ابنته: (من مجزوء الرجز)

كأنّ ظلّامةَ أختَ شيبانْ

يتيمةٌ ووالداها حيّانْ

الرأسُ قملٌ كلهُ وصئبانُ

وليسَ في الرجلين إلا خيطانْ

فهيَ التي يُذعرُ منها الشيطانْ[81]

فوهب له خمسمئة دينار؛ ليجعلها مكان الخيطين!.

وجملة القول: إن هجاء القريبات سوى الزوجات نادر[82]، وإنما أدرجت هذه النصوص تحت مبحث؛ لتتميم البحث من زواياه كافة.

الإضحاك والتظرّف، والتفنن:

وهذا الباعث مهم جدا، وقد يأتي مستقلا، كما أحسبه يصاحب كثيرا من البواعث التي تقدمت، فهو جزء أصيل من بواعث القول، ومن مقاصده أيضا، حيث يحب الشاعر أن يقول ما يشيع، ويُستَنشد في المجالس، ويكون به الشاعر أهلاً للمنادمة، وجليساً لا يملّ، والإضحاك مختلف عن التفنّن، ويجمع بينهما أن القول يأتي لعلّة خارجة عن المرأة وحالها، ولاحقة بالفن ودوره في الحياة.

ومما يدل على اشتراك هذين الباعثين مع كثير من البواعث التي تقدمت ما نلحظه من عناية بالتصوير الفني الطريف المعجب، والحرص على تفتيق الصور البكر، وإصابة التشبيه، وابتكار المعاني، كما أن بعض القطع لا يبدو انصراف الشاعر فيها لغير رسم الصورة المعجبة، ومنه مثلا قول دعبل في بيتٍ مفرد: (من المنسرح)

كأنما كفُّها إذا اختضبتْ

مخالبُ البازِ ضُرِّجتْ بدمِ (83)

إن التشبيه في هذا البيت يذمّ في المهجوّة شيئاً لا يُذَمّ في النساء عادة، وهو الخضاب، ولم يذمّه لنقصه أو لصفة يتبيّنها القارئ تجعله في كف تلك المرأة مختلفاً عن كفوف سائر النساء، وليس إلا الرغبة في التشبيه المعجب. ولربما قال قائل إنه يذم شكل أصابعها، ونحولها، ولست أظن هذا لأن البيت يهجو (كفها) و(خضابها) ولو أراد ذمّ الأصابع أو الوصف بالنحول لوجد إلى ذلك لفظاً أقرب وأهدى، كما أن إفراد البيت يدل على أن المقصود هو الصورة فحسب، فإذا قيلت تمّ المقصود، ولم يعد القول بحاجة إلى تتميم. وممّا قد أدرجه تحت هذا الباعث قول ابن المعتز يهجو مغنية: (من الطويل)

يلامسُ منها الكفُّ عيدانَ مشجبٍ

كنبّاشِ ناووسٍ يقلّبُ أعظُما

وعابدةٌ لكن تصلّي على القفا

وتدعو برجليها إذا الليلُ أظلما(84)

وهذا الوصف الطريف بتشبيه جسدها بعظام الميت في قبره، والصورة الساخرة في البيت الثاني لا تشعر أن وراءها باعثاً نفسيا حقيقيا، أو إرادة لإخزاء المهجوّة وتبكيتها، أو تنفيسا عن أذى وقع على الشاعر، وإنما هو التفنن، وبخاصة أن كتب النقد آنذاك كانت تعتني بكشف ما يسمى –السرقات الشعرية– وترصد الآخذ والمأخوذ منه، وتعتني برصد السابق إلى المعاني؛ فاعتنى الشعراء بالقول في الموضوعات الطريفة الجديدة؛ لأنها أحرى أن تُبتكر فيها الصور.

كما أن كثرة القول في هجاء المغنيات والقيان يشير إلى أنه من الأدب الإخواني الذي يتغيّا الإمتاع والضحك، وربما المنافسة الشعرية، ومما قد يندرج تحت ذلك قول أبي نواس: (من الوافر)

إذا ما كنتَ عند قيانِ موسى

فعندَ الله فاحتسب السرورا

خنافسُ خلفَ عيدانٍ قعودٌ

يطوّلُ قربها اليومَ القصيرا

إذا غنّينَ صوتاً كان موتاً

وهجنَ به عليكَ الزمهريرا(85)

والملحوظ أن القول يدور حول طلبه تمام (السرور) ولذلك فإن المغنيات لم يرضينه مظهراً وصوتاً، فعمد إلى اغتنام الحدث بوصفهنّ وصفاً مضحكاً ممّا يتملّح به في مجلسه ذلك وفي غيره.

يظهر مما تقدم أن المحرك الرئيس الذي قد تندرج تحته جلّ نصوص هجاء النساء هو القلق العميق الذي يعتري الرجل، من وفائه بمسؤوليته، وما يناط به، وكذلك القلق من جدارته بالأنثى، وحسن نظرتها إليه، وقدرته على تصبّيها، أو نيل من يشتهي وما يشتهي، ويندرج تحت ذلك المحرك بواعث شتى متنوعة مثل التنمر والسادية والعجز والانتقام والمشكلات اليومية...الخ.

فإذا كان الرجل عاجزاً عجزا ماديا أو اجتماعيا أو جسديا أو غير ذلك من أسباب العجز والتقصير؛ ساءه ذلك جدا، ولربما عالج عجزه برميه على الأنثى، أو لربما عوّض نقصه باستنقاص الأنثى، أو نفّس موجدته بالشتم ورفع الصوت.

أزعم أن هذا هو المحرك الرئيس لأغلب نصوص الهجاء، أما بواعث القول المباشرة فمتنوعة، وقد تقدّم بعضها.

وممّا يجدر التنبه إليه ممّا يدعم هذا المحرك الرئيس -الذي يصلح أن أسميه (قلق الفحولة)- أن الطفل الذكر يعيش بين النساء ويرتبط بهن أكثر من ارتباطه بالرجال، وكلما كبر ابتعد عن فضاء النساء وانحاز إلى فضاء الرجال، حتى إذا بلغ استقلّ تماماً -أو هكذا يفترض- عن فضاء النساء، وصار تامّ الرجولة؛ ولهذا فإن نزوعه إلى فضاء النساء وشوقه إليهنّ -شوقاً لغير الدافع الجنسي- والتذاذه بمجالستهن وأحاديثهن، واشتباه شواغله بشواغلهنّ: كلّ ذلك يتنافى مع تمام رجولته، فيكون هجاؤهن إعلاناً بمباينتهن، وتعويضاً لمركّب نقص يشغل الرجل، وتبرئة لرجولته من تهمة الطفولة، أو من تهمة التأنّث.

وقد لحظ بعض الباحثين تنامياً -منذ القرن الرابع- لـ«لنرجسية الذكورية والامتلاء الرجولي المنافيين للافتقار والحب ... ولعلّ منظومة البيان ...ساعدت على نبذ العشق والشوق»[86] وذلك بوصفهما متضادين مع الفحولة الشعرية «فالعشق والغزل هو من قبيل ما عُدّ أنثوياً، ولذلك كان يمكن لذي الرمة أن يعدّ من الفحول لولا إفراطه في الغزل»[87]، وفي اعتقادي أن هذه الرؤية لم يتضح ظهورها ابتداءً من القرن الرابع فحسب، بل هي متسايرة مع شعر التعشّق والغزل منذ كان، وذلك بحسب العوامل النفسية الخاصة بكل شاعر، فنجد شعراء في كل عصر مترفعين عن التذلّل في الغزل، وآخرين مولعين به، كما نجد -في فلتات- شعراءَ آخرين ينشدون ضدَّ الغزل، أعني الهجاء.

معاني هجاء النساء:

إن دراسة معاني هجاء النساء ليست فضلةً من البحث، وتسويداً لأوراقه، بل هي من صلبه، وقد تكون أهم ما فيه؛ لأن معرفة تلك المعاني تهدي إلى معرفة أعمق بحقيقة العلاقات الاجتماعية، والتركيب الأسري، وقد تهيِّئ لإعادة فحص المسلّمات حول العلاقة الحقيقية بين الرجل وزوجته في ذلك المجتمع، وطريقته في الحفاظ عليها، وذياده عنها، وستره لها، وفيما يلي سأسعى لمعرفة معاني الهجاء التي أفترض -ابتداءً- أنها ستقابل معاني الغزل، ولمعرفة ما قد يقال في الغريبات ولا يقال في القريبات أو العكس، وكذلك معرفة معاني هجاء المرأة لكي يمكن مقابلتها بمعاني هجاء الرجل، وما يدل عليه الفضاءان من محلّ لكلا الجنسين من القيم، والمنتظر منهما.

وسيكون البحث فيما يلي (موضوعاتياً إحصائياً)، بحيث أستخرج كل المعاني الواردة في الأبيات، وأجمع الأشباه والنظائر، وأدرجها في جداول كاشفة، مع الوعي بأن تسمية المعنى، أو تصنيفه ليس حكماً نهائيا ولا قاطعا، وكذلك فإن حصر كل المعاني في النص متعذّر إلا على وجه التقريب، وحسبي أنها مقاربة سأجتهد فيها ما وسعني. مع ملاحظة أنني سأبدأ بإيراد موازنة بين معاني (هجاء الزوجات ومن في حكمهن كالمخطوبات) و(هجاء النساء الغريبات)، ثم سأتبع ذلك بإيراد معاني هجاء (القريبات سوى الزوجات) ثم (العجائز) ثم (المغنيات) وذلك لأن هذه الفئات الثلاث من المهجوّات تشكّلت لهنّ بنية نصوصية ومعنوية مختلفة. مع التنبيه على أنني سعيت إلى حصر كل ما استطعته من نصوص في هجاء النساء إلا (هجاء المغنيات) فلم أدوّن منه إلا ما يمثّله فحسب؛ وذلك لكثرته، وتشابه معانيه[88]، ولأنه لا يدخل في المقصود البحثي دخولا تاما، وبعضه يغني عن جميعه.

وبين يديك إحصائية تصنيفيّة للمدوّنة:

المهجو	عدد الأبيات	عدد النصوص
الزوجات ومن في حكمهن	271	48
الغربيات	102	33
القريبات سوى الزوجات	26	10
العجائز	28	11
المغنيات	31	9
المجموع	480	111

وفيما يلي رصد لمعاني هجاء الزوجات، والغريبات، وموازنة بينها في جدول واحد؛ ولذلك فقد وحّدت عددَ أبيات العيّنة (102 بيتا لكل صنف)، لكي تصحَّ المقارنة والموازنة، مع الإشارة إلى أن اختيار أبيات العينة عشوائي، لم يضبط بأي ضابط.

المعنى	التكرار في هجاء الغريبات والحبيبات	التكرار في هجاء الزوجات	المعنى	التكرار في هجاء الغريبات والحبيبات	التكرار في هجاء الزوجات	المعنى	التكرار في هجاء الغريبات والحبيبات	التكرار في هجاء الزوجات
تقبيح الجسد								
القبح العام	5	-	هيئة الجسد	1	-	اللون	2	1
الطول والقصر والعرض	2	4	النحول	2	6	الرائحة	4	-
الجلد	6	1	الوجه	7	1	أعضاء الوجه (العينان والأنف ...)	29	3
الصوت	1	-	الشعر والضفائر	2	-	الصلع	-	1
الغضون	1	11	الذراع واليد والأصابع والأظفار	4	3	الساق والقدم	8	4
الجيد والصدر والرقبة	2	2	البطن	3	-	القفا	1	-

قبح المشي	2	1	معانٍ أخرى	3	1			
المجموع	الغريبات 85					الزوجات 39		
المظهر								
اللباس		2	الحلي	4	-	الكحل وتلوين الوجه	4	-
المشط والتسريح	-	5	الشيخوخة	١ (باستثناء هجاء العجائز)		معانٍ أخرى	1	-
المجموع	الغريبات 10			الزوجات 7				
المعاني الجنسية								
جميع المعاني	22	4						
المجموع	الغريبات ٢٢	الزوجات 4						
الأخلاق								
التعذيب والضرب	-	8	سلاطة اللسان والصخب	-	7	الأذى والتنمر والتسلط	1	7
الغضب	-	1	التنكّر وكفر العشير	-	1	الفحش	1	-
الزنا والعهر	-	3	قبح الحديث	2	-	قبح التغنج	1	-
اللؤم والمكر والخداع	1	2	عدم الخير	1	-	الإساءة لضيوف الرجل	-	1
العبوس	1	-	الخَرَق	-	1			
المجموع	الغريبات 8			الزوجات ٣١				
التصريح بعاطفة الهاجي								
الشكوى	-	6	الرغبة في الإضرار	-	3	تمني الموت	-	3
التهديد بالضرة	-	3	استعجال الفراق	-	2	الصبر	-	1

النفور	2	2	الصدود والإعراض	2	-	طول الليل معها	1	-
البغض	1	-	إحساس المريض	2	-			
المجموع	الغريبات 8		الزوجات 20					
المجموع العام	الغريبات 133		الزوجات 101					

وألحظ في هذا الرصد جملة من الأمور أورد أهمها:

- أن عدد المعاني الهجائية المباشرة كبير نسبةً إلى عدد أبيات العينة، وهذا مردود إلى قلة عدد الأبيات في كل نص، فيركّز الهاجي القول على المعنى الهجائي المقصود، ولا يسهب فيه ولا يستطرد.
- أن الهجاء الجنسي يزيد بأكثر من أربعة أضعاف عند هجاء الغريبات نسبةً إلى هجاء الزوجات، وهذا هو المتوقّع، مع ملاحظة أنه حينما يرد في هجاء الزوجات تُخَصّ به المطلقة أو المنويّ تطليقها، ولست في معرض الحكم الأخلاقي هنا، ولكنني أجد أن الرجل يأنف من وصف زوجته وصفا جنسيا وإن قبّحها في غير ذلك.
- وفي المقابل نجد هجاء الأخلاق يزيد بمقدار ثلاثة أضعاف تقريبا عند هجاء الزوجات نسبةً إلى هجاء الغريبات.
- ويزيد تقبيح جسد الغريبة بمقدار الضعف عن تقبيح جسد الزوجة.
- وكذلك فإن هجاء وجه الغريبة يزيد بأكثر من عشرة أضعاف هجاء وجه الزوجة.
- وإذا نظرنا إلى النقاط السابقة جميعاً وجدنا أن علاقة الرجل بالغريبة تكاد تكون علاقة جسدية محضة؛ ولذا يهجو جسدها، ويقبّح مفاتنها، أما علاقته بزوجته فهي علاقة تعاملية أخلاقية، ولذلك فهو يكره أخلاقها، أكثر من كراهيته جسدها.
- وممّا يلفت النظر ما وجدته في معاني التصريح بالعاطفة السلبية، فقد صرّح الرجل بالشكوى من زوجته وتمني أذاها والإضرار بها والرغبة في فراقها، وهذه المعاني لم يرد مثلها في هجاء الغريبة.
- كما تبدو المعاني متقابلة مع ما نجده في شعر الغزل، إذ يركّز الغزل على تحسين الجسد، ووصف العاطفة، وهو ما نجد مقابله هنا في شعر الهجاء، فهو في جملته تقبيح للجسد، ووصف لعاطفة الصدود والبغض، وإن كانت نسبة العواطف هنا أقل، لأن محرك الغزل في غالبه هو الحب والإعجاب، أما الهجاء فله محركات أخرى لا تتقابل بالضرورة مع محرك الغزل.
- كما نجد أن هجاء المرأة يختلف اختلافا جذريا عن هجاء الرجل، إذ إن الرجل يهجى غالبا بسلب الكمالات المعنوية والقيم العليا، ويقلّ جدا تقبيح جسد الرجل أو وجهه، وكل ذلك نجد مقابله في هجاء المرأة.
- كما ألحظ في هذه النصوص كثرة تشبيه النساء بالحيوانات عند الهجاء (ورد التشبيه خمس مرات لهجاء الغريبات وأحد عشرة مرة لهجاء الزوجات)، وهو ما لا نجد مثيله في الكثرة النسبية عند هجاء الرجال ومما لحظته أن التشبيه بـ(الغول والسعلاة والشيطان) قصرٌ على الزوجات فقد تردد ست مرات، ولعلّ ذلك لما يحمله هذا التشبيه من دلالة خفاء الضرر، ومفاجأة المتضرر، وتلوّن المهجوّ.

- ومن الملحوظ عدم تورع الشعراء عن التشويه الجسدي الموجع للمهجوة، ومسخ صورتها حيواناً أو غير ذلك، دون مراعاة للضوابط الأخلاقية أو الدينية أو الاجتماعية، بل إن هذا التشويه يطال موضع حياء النساء دون تعفّف، ولربما أوحى هذا بتسامح المتلقين مع هذا الخرق الأخلاقي، وعدم لجمهم لمن يقوله، وبخاصة أنه يكون بمعان لا تقال في غير الشعر، وهي ممّا يُنهى عنه أخلاقاً وديناً.

وفيما يلي جدولٌ يرصد معاني النصوص التي لم تدخل في رصد الجدول السابق، وهي الخاصة بهجاء القريبات سوى الزوجات، وهجاء العجائز والمغنيات:

هجاء القريبات سوى الزوجات: عدد أبيات المدونة: ٢٦					
المعنى	التكرار	المعنى	التكرار	المعنى	التكرار
نقص الإيمان	4	**العهر**	3	التجسس وسوء الظن	3
الوجه وما يتصل به	2	**كبر السن**	2	الفتك بالزوج	2
سوء الحديث	2	**الفقر**	2	معاني أخرى	5
المجموع	25				
هجاء العجائز: عدد أبيات المدونة: 28					
المعنى	التكرار	المعنى	التكرار	المعنى	التكرار
الجسد والوجه وما يتصل بهما	12	الهرير والشتم والأذى	6	البخل والحرص	4
التزين والخضاب	3	النهي عن الزواج بها	3	الوصف الجنسي	2
نقص المؤاتاة	2	كثرة الزواج	2	معاني أخرى	5
المجموع	39				
هجاء المغنيات: عدد أبيات المدونة: 31					
المعنى	التكرار	المعنى	التكرار	المعنى	التكرار
قبح الصوت	7	الهجاء لجنسي	4	قبح الوجه	6
الرائحة	4	معاني أخرى	7		
المجموع	28				

وألحظ في هذا الرصد الآتي:

- كثرة المعاني الهجائية نسبة إلى عدد الأبيات، وهذه الملحوظة عامة في كل هجاء النساء.
- وبروز معانٍ خاصة بكل صنف، مثل (التجسس) في هجاء القريبات، و(الهرير والبخل) في هجاء العجائز، و(قبح الصوت) في هجاء المغنيات.
- ويتراجع معنى الهجاء بقبح الوجه والجسد تراجعا ملحوظا في هجاء (القريبات)؛ لأن العلاقة الجسدية بين الذكر والأنثى غير ممكنة هنا.
- كما يبدو العامل المادي حاضرا، حيث تهجى القريبات بالفقر، وتهجى العجائز بالبخل.
- ويتكرر معنى كبر السن، وكأنه عيب يلحق المرأة دون الرجل!.
- ويظهر أن المعاني المسيطرة في هجاء المغنيات هي ما يتعلق بإمتاع الحواس المختلفة: السمع ثم النظر ثم الشمّ، مع معاني المتعة الجنسية، وهذا

يشير إلى أن المتعة المطلوبة في مجالس الغناء لا تقتصر على السمع.

وفي خاتمة هذا المبحث أشير إلى أنني لحظت أن معاني هجاء النساء تقابل معاني التغزل بهن ووصف العواطف والتشوّق، وحسن الجسد وملاحة الوجه[89]، ولا تقابل معاني المديح؛ لاقتصار المديح على الرجال دون النساء[90]، ومعاني المديح في جملتها تعداد للمكارم ومحامد الأخلاق، وليست وصفاً للكمالات الجسدية إلا في القليل النادر.

كما أن معاني هجاء النساء لا تماثل معاني هجاء الرجال، فالأولى تكون بوصف النقائص الحسية غالباً، والثانية تكون بتعداد المثالب المعنوية، وبعضهم لا يرى ذمّ الخلقة الجسمية من الهجاء؛ لتدنّيه، ولا يرى من الهجاء «سلب المهجوّ أموراً لا تجانس الفضائل النفسانية»[91].

والملحوظ أيضاً أن هجاء النساء في جملته –بل أكاد أقول فيه كلّه– يلزم المرأة ولا يحير على قومها، ولا توصف بنفع قومها ولا بضررهم، كما أنها لا تذمّ بمثالب قومها المعروفة، وهذا –أظنه– من أسباب قلّة الهجاء، وهو في الآن نفسه من أسباب تجرؤ الرجل على هجاء المرأة القريبة. فكأنما تعامل المرأة بصفتها الفردية لا بصفتها جزءاً من جماعة، على خلاف هجاء الرجل.

كما لحظت أن هجاء المرأة المعيّنة لا يرد فيه ذمُّها بأنوثتها، أو أن الأنوثة نقيصة، أو مقارنتها مقارنة مباشرةً بالرجل وخصاله، كما لا يرد في هجائها أن سبب صفة النقص في المهجوّة هو كونها امرأة، وهذا على خلاف المتوقع؛ لأن الصورة العامة المعنوية للمرأة تستنقصها إذا قيست بالرجل، وشواهد هذا كثيرة جدا[92]. وعليه فإن هجاء المرأة المعيّنة يستند إلى الصورة المثال الكاملة للمرأة، وكأنما يبتغي الهاجي كمال المهجوّة في صفاتها الأنثوية، وهذا يحمل معنى إيجابياً تجاه الأنوثة.

تأليف النتائج:

وبعد كل ما سبق أشير إلى أنه من المستقرّ المتردد في الأبحاث أن النظرة إلى المرأة في الثقافات عموما تتنازعها «أقصى حالات التجاذب الوجداني، فهي أكثر العناصر الاجتماعية تعرّضاً للتبخيس في قيمتها على جميع الصعد ... يقابل هذا التبخيس مثلنة مفرطة ندر أن وجدنا لها نظيرا عند الرجل، هذه المثلنة تبدو في إعلاء شأن الأمومة ... كما تبدو فيما ترفع إليه المرأة المشتهاة»[93]، وإننا إذا صدّقنا ذلك سنفترض كثرة المقول في هجاء أعيان النساء كثرةً توازي المقول في استحسانهن والتغزل بهن، ولكنّ مدونة هجاء النساء قليلة جدا نسبة إلى مدونة الشعر العربي بعامة، أو المدونة الهجائية بخاصة، بل هي قليلة لو قسناها بشعر شاعر هجّاء واحد كابن الرومي، ولذلك فهي ليست ظاهرة ثقافية ذات دلالات تسم الثقافة العربية بميسمها، وقصارى أمرها أن توصف بأنها ظاهرة طريفة شبه شاذة –من حيث الكم–، يكشف تتبّع نصوصها جانباً من جوانب الثقافة العربية. وأستطيع القول: إن قلة عدد نصوص هجاء النساء نسبةً إلى هجاء الرجال مردود إلى أمرين اثنين، هما:

- أن أثر النساء في الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية قليل وهذا ما جعلهن بعيدات عن فضاءات المشاحنة والخصومة والرغبة والرهبة، وهيّأ لهنّ الأمان من الهجاء.
- أن الرجال بعامّة يكرمون النساء بعامّة، وينزّهونهن من النقائص، ويغفرون ذنوبهن، ويسترون عيوبهن، ويأنفون أن يصيبوهن بشيء أو أن يرضوا بما يصيبهن[94].

ولذلك فإن النساء حماهن الرجال في النواحي الاجتماعية، وحمتهن عزلتهن عن النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية.

ومن جهة أخرى فإن ارتباط الشعر بالثقافة والتعلّم والتعقّل، وارتباطه بالتلقّي والرغبة في التأثير أسهم في إبعاد النساء عن دائرة الهجاء؛ لابتعادهن عن فضاءات الثقافة وتلقي الشعر[95] وإنشاء الأدب[96]،

وكأنما يترفع الشعر عن هجائهن، فقد «نظر الرجل إلى رأي المرأة على أن فيه وهناً وضعفاً وأنه دون رأيه بكثير... فكانوا إذ أرادوا ضرب المثل بضعف رأي قالوا عنه: (رأي النساء) ...حتى ذهب بعضهم إلىً عدم وجود رأي للمرأة، ولهذا قالوا للرجل (الفند) إذا خرف وخف عقله لهرم أو مرض... ولا يقال (عجوز مفندة)؛ لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي أبدا فتفند في كبرها»[97] وشواهد هذه النظرة الثقافية كثيرة في المدونة الثقافية العربية، قريبة المأخذ، وليس هذا مجال تتبعها[98]، ولكن الذي يعنينا هنا هو أن هذه الرؤية الثقافية قد أثّرت في إنشاء الهجاء، مع الوعي بأن دائرة القول الهجائي لا تتم بعد الإنشاء إلا بالتلقي، وما يتبع التلقي من تأثير للفعل الكلامي، فإذا كان الشاعر يرى أن المرأة ليست فاعلة ضمن الدائرة الثقافية؛ فإنه لن يعبأ كثيراً بهجائها، ونجد شواهد من شعر هجاء النساء فيها استخفاف بهن من هذه الناحية بأسلوب هجائي مبتكر، لا يمكن أن نجد مثله في هجاء الرجال، ومن ذلك ما يروى أنه «كان عند مرقال بن بَحْوَنة الأسديّ ابنة عمٍّ له ورهاءُ فدخل منزله يوماً وهي مغضبةٌ فقال: ما شأنك؟ قالت: لأنَّك ما تشبِّبُ بي كما يشبِّب الرِّجال بالنساء، فقال فإني أفعل، قالت هات، فأنشدها وكان اسمها عُبيدة»[99]: (من البسيط)

تمَّت عُبيدةُ إلاَّ في ملاحَتها

فالحُسنُ منها بحيث الشَّمسُ والقمرُ

ما خالفَ الظَّبيَ منها حينَ تُبصِرُهُ

إلاَّ سوالفهُ والجِيدُ والنَّظرُ

قلْ للَّذي عابَها من حاسد حنقٍ

أقصرْ فرأسُ الَّذي قدْ عِبْتَ والحجرُ[100]

والذي يظهر في الأبيات هو الاستخفاف بعقل الأنثى وهجاؤها به[101]، أو بأنها لن تفهم ما يقال من معاني الهجاء، وستعدها مديحا. ومن مثل هذا الشعر الذي يستخف بالنساء بأنهن لا يفقهن الشعر وتروعهن ألفاظه فيرين أنه مديح وإن كان هجاء قولُ أبي نواس من قصيدة: (من المنسرح)

وجهُ بنانٍ كأنَّهُ قمرٌ

يلوحُ في ليلةِ الثلاثينِ

والخدُّ من حسنهِ وبهجتِه

كطاقةِ الشوكِ في الرياحينِ[102]

ولعل هذه الرؤية أسهمت في كون معاني هجاء النساء في جملتها حسية غير معنوية، إذ إن الهجاء يوجع إذا سلب مزيةً من فرد دون المجموعة، بحيث يكون الفرد ناقصاً عن مجموعته في صفات كمالها التي تعدُّها لها الثقافة، بغض النظر عن الواقع.

ومهما يكن من أمر فإن الثابت هو أن هذين النصين فيهما استخفاف بعقل المهجوة وقدرتها على تلقي الهجاء وفهم مغازيه، وأن نصوص هجاء النساء بعامة تنصرف إلى تقبيح الحسيات أكثر من المعنويات والأخلاق.

كما يظهر من جملة نصوص هجاء أعيان النساء أنهن لا يهجين بأنوثتهن، ولا تستنقص قيمة الأنوثة في تلك النصوص، على خلاف المتوقع، إذ إن الأنوثة تعامل في الثقافة «بوصفها قيمة متدنية»[103]، وهنا يظهر أن العلاقة الفردية قد لا تحكمها الصورة الثقافية العامة، أو أنه قد تنبني الصورة الذهنية التي تصم فئة من الناس أو طائفة أو جماعة أو طبقة بسمة معيّنة، فإذا تعامل الفرد مع الفرد فإنه قادر على التجرّد من تلك الصورة العامة.

وكما لحظت أن هجاء (النساء) قليل جدا نسبةً إلى الغزل فيهنّ، فإني ألحظ أن هجاء (الزوجات) كثير جداً نسبة إلى الغزل فيهنّ، إذ وقعت على أزيد من سبعين ومئتي بيت في هجاء الزوجات، ولم أقع على غزل فيهن!، «فقد سكتت المصادر عن ذكر رجال وصفوا زوجاتهم بالجمال»[104]، وقد يُرَدُّ ترك الغزل بالزوجات إلى الغيرة، أو إلى نقص الإعجاب أو ذهابه، أو إلى الاعتياد والألفة[105]، أو إلى أن الشعر باعثه الأساس التخييل والبحث عن عالم المثال، وأما الزوجة فهي عالم الواقع، أو إلى أن نظام

القيم يوجب على الرجل حماية المرأة من كل ما يسوؤها ويشينها، ومع ذلك فإن كل هذه الأسباب قد تقال أو يقال ضدها لو عدمنا وجود الهجاء، ولكننا لم نعدمه، فلماذا هجين ولم يتغزل بهن؟! هنا يتأكّد المحرّك الرئيسي الذي انبعثت منه الأقوال الهجائية، وهو (قلق الفحولة) والآليات الدفاعية التي تحفّز الرجل على الدفاع عن ذاته ولو كان ذلك بالاعتداء على الأنثى التي كان يفترض أن يحميها، بحيث يكون الدفاع عن الذات وحمايتها مقدَّماً على الدفاع عن المرأة وحمايتها.

وبهذا فإننا إذا فتّشنا في الأنساق المضمرة للنصوص التي تشتمل على صورة سلبية للمرأة سنجد كثيرا منها في حقيقته دالاً على نقص الرجل لا المرأة، وأن الصورة السلبية تحيِّر على الرجل، وتتنزّه منها المرأة، وهذا يستدعي قَراءة متأنية للتراث، والأحكام التي توارثناها عمن قرأه قراءة أولى لمعاني نصوصه الظاهرة، فلربما قال باطن النصوص ما لا يقوله ظاهرها.

الخاتمة:

ولعلي أختم بنتيجتين مهمتين، وصل إليهما البحث:

1. أن المحرك الأهم الذي تنتظم فيه أكثر نصوص هجاء النساء وبواعثها هو (قلق الفحولة) وتعويض النقص الذي يؤرق الرجل في علاقته بالمرأة، وبهذا يكون الهجاء علاجاً للرجل ونقصه، وليس تقويماً للمرأة ونقصها!.
2. ولا نغفل عن أهمية وجود باعث (الإضحاك والتفنن)، وأنه يشترك مع محرك (قلق الفحولة) في كثير من النصوص، ويستقلّ أحياناً، غير أن (الإضحاك والتفنن) من بواعث القول في كثير من الأغراض، والموضوعات، لا يخص النصوص الهجائية، وليس بدعاً في هجاء النساء؛ لذلك لم يكن تتبعه وكشفه وإبرازه هدفاً في هذا البحث.
3. أن المرأة تهجى -غالبا- بسلب الكمالات الحسية، لا المعنوية، وبهذا فهجاؤها يقابل الغزل، ولا يقابل المديح.
4. وقد تقدم تفصيل لهاتين النتيجتين العامتين، وذكر لنتائج الأخرى فيا تقدّم من مسائل البحث وخواتم مباحثه.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1. يقول الخالديان بعدما أوردا قصيدة للسليك بن السلّكة في امرأة من قومه كادت تكون هجاءً: «في ألفاظ هذا الشِّعر بعض التَّخلُّف وإنَّما كتبناه... لأنَّ هذا المعنى قليلٌ في الشِّعر جدّاً» الخالديان محمد وسعيد، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، تحقيق: السيد محمد يوسف، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م ، 2/238.

2. كانوا يرون أن الهجاء ينبغي له أن يكون غير خادش لحياء المرأة لو أنشدته، وذلك في تهاجي الرجال، فما بالك بهجاء المرأة ذاتها. انظر : ابن رشيق القيرواني، العمدة، 2/867. فاطمة عبدالله الوهيبي، القتل بالشعر: دراسة في سيموطيقيا الثقافة، أبها وبيروت، نادي أبها الأدبي ودار الانتشار العربي، ط1، 2016م ، 149.

3. أكبر تلك الدراسات -وأعدّها أهمها- كتاب : (هالة فهمي، في هجاء الزوجات)، وهو كتاب لطيف في 180 صفحة، لم تلتزم فيه المؤلفة منهجاً نقديا أو ضوابط أكاديمية دقيقة، ومزجت الشعر القديم بالحديث، والفصيح بـ(الحلمنتيشي)، والعمودي بالتفعيلة.

ومن الدراسات السابقة: أ.علي الجندي، هجاء الزوجات، (مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة). خليل عودة، هجاء المرأة في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي، (مجلة الجامعة الإسلامية، غزة). واجدة مجيد الأطرقجي، المرأة في أدب العصر العباسي، (كتاب). كمال عبدالفتاح حسن، هجاء الزوجة في العصر العباسي الأول، (مجلة سر من رأى). جابر خضير، المرأة من منظور النقد، (فصل: في كتاب المرأة في اختيارات النقد: حماسة أبي تمام أنموذجا).

وكل هذه الدراسات بعيدة في المنهج والعرض والمدونة والنتائج عن دراستي هذه، وأخص بالذكر دراسةخليل عودة؛ لقرب عنوانها من دراستي، وقد بذل فيها الباحث جهداً مشكوراً، وجاءت في ثنتين وعشرين صفحة، منها تقديمٌ في خمس صفحات عن (المرأة المثال) الجميلة، واستعراض لشعر الغزل فيها.

ثم انتقل الباحث إلى عنوان أسماه : (صورة المرأة الواقع) وبدأ في الصفحة السابعة من بحثه بتقسيم تلك المرأة (الواقع) إلى قسمين اثنين فقط، هما: (المرأة الزوجة ثم المرأة الصاحبة) .

وقد اشتملت مدونته التي اعتمدها للمرأة الزوجة على مجموعة من النصوص التي لا أرى تصنيفها في (الهجاء)، بل الشكوى من المرأة أو من الشيب، أو الفخر بذكر اللائمة التي تلوم على إنفاق المال. كما أورد أبياتا في ذم النساء بعامة، وهذا مختلف عن شرط بحثي هذا الذي تقتصر مدونته على هجاء المرأة المعينة، ويضبط نتائجه في حدود هذا الضابط.

أما المبحث الثاني عنده فهو (المرأة الصاحبة) وليس فيه إلا ثلاثة نصوص فحسب، أحدها للأخطل وليس في امرأة معينة بل في وصف النساء بعامةّ، وآخر لدريد بن الصمة وليس في امرأة بل في الحرب: (الحرب أول ما تكون فتية)! والثالث بيتان لذي الرمة (على وجه مي مسحة من ملاحة..).

وبهذا يتضح اختلاف بحثه عن بحثي هذا في حدود المدونة، وفي سعتها، وفي المباحث التي تناولها، وأبرز ما قد يكون أضافه بحثي هذا هو تحليل محركات الشعر ودوافعه، وكذلك رصد الثيمات أو الموضوعات وإحصاؤها، وتقديم نتائج من وحي ذلك الرصد، والتوسع في المدونة وضبطها.

على أن له فضل التقدّم، وتناوله لمسائل لطيفة ودقيقة.

4. أبو تمام الطائي، الحماسة، (شرح ديوان الحماسة، صنعة: أبو علي أحمد المرزوقي)، نشرة: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1411هـ، 4–1865–1882.

5. الجاحظ. عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مصر ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 160/7 – 163.

6. ابن ابن أبي عون، التشبيهات، تصحيح: محمد عبدالمعيد خان، جامعة كمبردج ، 126 – 138.

7. محمد بن الحسن بن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1996م ، 5/ 165–169.

8. صدر الدين علي البصري، الحماسة البصرية، تحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1420هـ ، 3/1445–1467.

9. لم أضع في المدونة من أبياته إلا بضع قطع ممثِّلة؛ وذلك لكثرة ما كتبه، ولتشابه معانيه، وتكرار مهجوّاته، ولكي لا يطغى قوله على سائر المدوّنة فتختلّ الأحكام المتوازنة المنتزعة من جملة نصوص التراث.

10. المعنيّ بمصطلح (الفحولة) في هذا البحث: المعنى النفسي له، وليس أيَّ معنى آخر، كما أنه لا يقصد به استعارته للقدرة الشعرية. ويتضمن مصطلح الفحولة معنيان هما: (الذكورة المقابلة للأنوثة، والقدرة الجنسية)، ويؤكد علم النفس أن «بعض الرجال يؤكدون ذكورتهم بتصرفات وسلوك القصد منهما أن ينفوا عن أنفسهم الإحساس الداخلي بالأنوثة» كما أن العقد النفسية المتصلة بتعريف الرجل لذكورته والاضطرابات والانحرافات الكثيرة تخفي كلّها «كراهيةً للنساء ظاهرةً أو مستورة، تحاول باستمرار أن تدفع المنحرف إلى الانتقام من جنس النساء».

انظر: عبدالمنعم الحفني ، الموسوعة النفسية الجنسية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط3، 2000م ، –56 65، 505–506، 520–521، 572–575، 650–676، 676–678. والجدير بالذكر أن ما ينتج عن قلق توكيد الفحولة قد يفهم في سياق النزوات النفسية، نزوة الموت والعدوان والتدمير وغيرها . وانظر: جان لابلانش وجان برتراند بونتالس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة: مصطفى حجازي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2011م ، 853 – 882 .

11.مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، الدار البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي، ط11، 2010م ، 200.

12. الآمدي. الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم ...، تصحيح: ف.كرنكو، بيروت، دار الجيل، ط1، 1411هـ ، 17.

13. أبو العلاء المعري، الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، القاهرة، دار المعارف (ذخائر العرب51)، ط2، 1404هـ ، 325.

14. روجيه موكيالي، العقد النفسية، ترجمة: موريس شربل، سلسلة (زدني علماً)، بيروت وباريس،منشورات عويدات، ط1، 1988م ، 27–29.

15. الأصبهاني. أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، مؤسسة جمال للطباعة (مصور عن طبعة دار الكتب)، 238/10.

16. أبوهلال العسكري، ديوان المعاني، تحقيق: أحمد سليم غانم، تحقيق: أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1424هـ ، 1060/2.
17. أبو تمام، حماسته بشرح المرزوقي، 1873/4.
18. أبو القاسم الزجّاجي، أخباره، تحقيق: عبدالحسين المبارك، (وزارة الثقافة والإعلام - سلسلة كتب التراث95) ، العراق ، دار الرشيد، 50. مع ملاحظة أنه في ديوان دعبل ترد هذه القطعة في هجاء جارية. دعبل الخزاعي، ديوانه، شرح: مجيد طراد، بيروت،دار الجيل، ط1، 1418هـ ، 112.
19. من الأول: إن تحت الحشا لهمّاً دخيلاً ترك القلب ناسياً للنساءِ

ومن الثاني: إنما العيش في منادمة الإخوا نِ لا في الجلوس عند الكعابِ

دعبل الخزاعي، ديوانه، 15، 32.
20. عبدالمنعم الحفني ، الموسوعة النفسية الجنسية، 506.
21. الأصبهاني، الأغاني، 24/223-225.
22. انظر: جان لابلانش وجان برتراند بونتالس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، 666.
23. أبو تمام، حماسته بشرح المرزوقي، 1881/4.
24. السابق، 1882/4.
25. ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة ، دار الحديث، 710/2. محمد بن المبارك ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ط2، 1429هـ ، 45/2-49. وفي الأبيات إقواء.
26. الأصبهاني، الأغاني، 424/2.
27. السابق، 425/2.
28. الفرزدق، ديوانه، بيروت ، دار صادر، 1/ 179/180.
29. الجاحظ، الحيوان، 161/7.
30. رجاء بن سلامة، العشق والكتابة: قراءة في الموروث، ألمانيا، منشورات الجمل، ط1، 2003م ، 62.
31. جان لابلانش، معجم مصطلحات التحليل النفسي، 470
32. عبدالمنعم الحفني ، الموسوعة النفسية الجنسية، 528.
33. انظر: السابق، 526.
34. الأصبهاني، الأغاني، 224/7.
35. ابن الرومي، ديوانه، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط3، 1424هـ ، 1244/3.
36. انظر مثلا: ابن أبي عون، التشبيهات، 130، 132، 133.

37. جان لابلانش، معجم مصطلحات التحليل النفسي، 470.

38.صادق جلال العظم، في الحب والحب العذري، دمشق، دار المدى، ط5، 2002م ، 85–86.

39.الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الغزل العربي: الشعر العذري نموذجا، ترجمة: المؤلف، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية– المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009م ، 78.

40. انظر: عبدالمنعم الحفني ، الموسوعة النفسية الجنسية، 526 – 527.

41. انظر: جان لابلانش، معجم مصطلحات التحليل النفسي، 528–527.

42. ابن أبي عون، التشبيهات، 126–127.

43. ابن الرومي، ديوانه، 1932/5.

44. أبو تمام، حماسته بشرح المرزوقي، 1875/4.

45. الخالديان، الأشباه والنظائر، 2/ 290.

46. ابن أبي عون، التشبيهات، 136.

47. مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، 263.

48. السابق، 263.

49. السابق، 268.

50. ابن ميمون، منتهى الطلب، 15/2–17. وهكذا وردت (فأذبح) مرفوعة، وحقها النصب.

51. الخالديان، الأشباه والنظائر، 288/2.

52. السابق، 2/ 290.

53. أبو تمام، حماسته بشرح المرزوقي، 1867/4. الخالديان، الأشباه والنظائر، 2/ 290.

54. روجيه موكيالي، العقد النفسية، 115.

55. انظر: روجيه موكيالي، العقد النفسية، 115–118. مصطفى حجازي، الإنسان المهدور: دراسة تحليلة نفسية اجتماعية، البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي، الدار ط2، 2006م ، 263–271.

56. حُميد بن ثور، ديوانه، تحقيق:عبدالعزيز الميمني، القاهرة،الدار القومية، 1384هـ، 79–80.

57. الأصبهاني، الأغاني، 123/14–124.

58. انظر: السابق، 124/14–125.

59. الجاحظ، الحيوان، 161/7.

60. انظر مثلا: صدر الدين البصري، الحماسة البصرية، 1464/3.

61. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 710/2. ابن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، 45/2–49.

62. ثعلب، مجالس ثعلب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ط2، 118.
63. الأصبهاني، الأغاني، 2/418-419.
64. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 5/167.
65. الأصبهاني، الأغاني، 24/218.
66. ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، 4/126.
67. ابن المعتز، ديوانه، 1/736. وفي المتن: (رحلي وأخمصي) واخترت الرواية المثبتة في الحاشية.
68. ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت ، 4/125.
69. الفرزدق، ديوانه، 1/ 374.
70. دعبل الخزاعي، ديوانه، 60.
71. الأصبهاني، الأغاني، 20/139.
72. ابن أبي عون، التشبيهات، 137.
73. ابن أبي عون، التشبيهات، 136.
74. انظر : الأصبهاني، الأغاني، 2/162ـ163.
75. أبو تمام، حماسته بشرح المرزوقي، 4/1862.
76. البغدادي. عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط4، 1427هـ، 11/87-88.
77. محمد المرزباني، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1415هـ ، 89-91.
78. ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرَين، بيروت ، دار الكتاب العربي، 6/113.
79. انظر هذا النص والنصين الآخرين: محمد المرزباني، معجم الشعراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003م ، 52.
80. الأصبهاني، الأغاني، 10/237، 259ـ260.
81. محمد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1413هـ ،2/998-999.
82. بل إني لم أجد نصوصاً أخرى تهجو القريبات سوى الزوجات (في القرون الثلاثة الأولى وما قبلها) غير ما قدمته هنا في هذا المبحث، سوى نص واحد قيل إنه في الأمّ، وقيل إنه ليس فيها، وأورده جماعة اختلفوا فيه. وممن أورده: أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، بيروت، دار صادر، 1408هـ، 6/185. عبدالعزيز الميمني، سمط اللآلي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1354هـ ، 1/316.
83. دعبل الخزاعي، ديوانه، 144. وفيه: (خُرّجت بدم).
84. ابن المعتز، ديوانه، تحقيق: يونس السامرائي، بيروت،عالم الكتب، ط1، 1417هـ ، 1/779.

85. أبو نواس الحسن بن هانئ، ديوانه، تحقيق: أحمد عبدالمجيد غزالي، بيروت ، دار الكتاب العربي، 541.

86. رجاء بن سلامة، العشق والكتابة، 536–537.

87. السابق، 537.

88. انظر للاستزادة: ابن أبي عون، التشبيهات، –126 133.

89. يشير خليل موسى إلى هيمنة المحاسن الجسدية في الغزل على المحاسن المعنوية «هيمنةً تكاد تكون كاملة في صورة المرأة في الشعر الجاهلي» بل يشير بعد دراسة تفصيلية للحقول الدلالية إلى وجود أربعة وعشرين حقلا من حقول المحاسن الجسدية مقابل حقل واحد فقط للمحاسن المعنوية. المرأة المثال في الشعر الجاهلي، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ذو القعدة 1420هـ ج3 – مج2، 334.

90. انظر: سعاد عبدالعزيز المانع، الشعر والنقد والمرأة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد 13، العدد3، خريف1994م ،320.

91. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: د.محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت ،187. وانظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي عبدالواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1420هـ، 874/2. فاطمة عبدالله الوهيبي، القتل بالشعر، 155–156.

92. فصلت القول في هذا في بحث بعنوان: (الصورة المعنوية للمرأة في الثقافة الأدبية العربية إلى القرن الخامس: قراءة ثقافية) وهو بحث محكم مقبول للنشر في: (مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية).

93. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، 199.

94 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، 1413هـ ، 573/4.

95. انظر: غيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، ترجمة: أسامة إسبر، البصرة وبيروت، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2013م، 7، 27–30، 428–429.

96. انظر: ماري إيجلتون، نظرية الأدب النسوي، ترجمة: عدنان حسن و رنا بشور، اللاذقية، دار الحوار، ط1، 2016م ، 12–20، 221–223، 238–239، 272–274.

97. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 618/4. وانظر في معناه: لسان العرب، فند.

98. لست هنا في معرض التقييم الأخلاقي لهذا الموقف الثقافي، بل أشير إليه لأنني رأيته عاملا مهما من عوامل قلة هجاء النساء، ومن شواهد هذه الرؤية في الشعر العربي قول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة منزّهاً لها أن يكون عقلها كعقل النساء:

فإن تَكُن خُلقَت أُنثى لَقَد خُلقَت
كَريمَةً غَيرَ أُنثى العَقلِ وَالحَسَبِ

وممّا يروى: «إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتذبح»، ويقول الشاعر :

ما للنساء وللكتا بة والفصاحة والخطابة
هذا لنا ولهن منـ ـنا أن يبتن على جنابة

المتنبي، ديوانه بشرح العكبري، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرَين، بيروت ،دار المعرفة، 91/1. الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، 1983م ، 371. الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد، بيروت، دار صادر، ط2، 1427هـ ، 203/1.

99. الخالديان، الأشباه والنظائر، 189/2.

100. أبو تمام، حماسته بشرح المرزوقي، 1871/4. الخالديان، الأشباه والنظائر، 189/2.

101. من فضلة القول التنبيه على خلل الرؤية التي تزعم تفاوتا طبقياً في القدرات العقلية بين الذكور والإناث، رغم إقرار وجود الاختلاف، ولكنه اختلاف في المزايا يتفوق فيه كل طرف من جهات على الآخر. انظر: عبدالمنعم الحفني ، الموسوعة النفسية الجنسية، 69-70.

102. أبو نواس، ديوانه، 540.

103. جابر خضير، المرأة من منظور النقد: دراسات في النقد العربي القديم، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2016م ، 15. وانظر عبدالله الغذامي، النقد الثقافي، الدار البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 2001م ، 125.

104. جابر خضير، المرأة من منظور النقد، 203.

105. انظر : السابق، 203.

المصادر والمراجع:

- الآمدي. الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم ...، تصحيح: ف.كرنكو، بيروت،دار الجيل، ط1، 1411هـ.
- الأندلسي. ابن عبدربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرَين، بيروت.دار الكتاب العربي.
- الأصبهاني. أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، مؤسسة جمال للطباعة (مصور عن طبعة دار الكتب.
- الأصفهاني. الراغب، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد، بيروت، دار صادر، ط2، 1427هـ.
- الأطرقجي. واجدة مجيد، المرأة في أدب العصر العباسي، العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 1423ه.
- إيجلتون. ماري ، نظرية الأدب النسوي، ترجمة: عدنان حسن و رنا بشور، اللاذقية، دار الحوار، ط1، 2016م.
- البصري. صدر الدين علي، الحماسة البصرية، تحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1420هـ.
- البغدادي. عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط4، 1427هـ.

- أبوتمام، الحماسة، (شرح ديوان الحماسة، صنعة: أبوعلي أحمد المرزوقي)، نشرة: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، بيروت،دار الجيل، ط1، 1411هـ.
- التوحيدي. أبو حيان. علي بن محمد، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، بيروت، دار صادر، 1408هـ.
- الثعالبي. عبدالملك، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، 1983م.

ثعلب. أبو العباس أحمد، مجالس ثعلب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف (سلسلة ذخائر العرب1)، ط2.

- ثور. حُميد، ديوانه، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1384هـ (مصورة عن نسخة دار الكتب1371هـ).
- الجاحظ. عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مصر ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
- جعفر. قدامة، نقد الشعر، تحقيق: د.محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت ، دار الكتب العلمية.
- الجندي. علي ، هجاء الزوجات، القاهرة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج29، صفر1392هـ.
- حجازي. مصطفى ، الإنسان المهدور: دراسة تحليلة نفسية اجتماعية، الدار البيضاء وبيروت،المركز الثقافي العربي، ط2، 2006م.
- حجازي. مصطفى ، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، الدار البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي، ط11، 2010م.
- حسن. كمال عبدالفتاح ، هجاء الزوجة في العصر العباسي الأول، مجلة سر من رى، مج3، ع8، السنة 3، كانون الاول2007م.
- الحفني. عبدالمنعم ، الموسوعة النفسية الجنسية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط3، 2000م.
- حمدون. محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1996م.
- الخالديان. محمد وسعيد، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، تحقيق: السيد محمد يوسف، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م.
- الخزاعي. دعبل، ديوانه، شرح: مجيد طراد، بيروت، دار الجيل، ط1، 1418هـ.
- خضير. جابر، المرأة من منظور النقد: دراسات في النقد العربي القديم، بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2016م.
- الدينوري. ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة،دار الحديث، 1423هـ.
- الدينوري. ابن قتيبة ، عيون الأخبار، بيروت ، دار الكتاب العربي.
- ابن الرومي، ديوانه، تحقيق: حسين نصار، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ط3، 1424هـ.

- الزجّاجي. أبو القاسم ، أخباره، تحقيق: عبدالحسين المبارك، العراق ، (وزارة الثقافة والإعلام – سلسلة كتب التراث95) ، دار الرشيد.
- سلامة. رجاء، العشق والكتابة: قراءة في الموروث، ألمانيا، منشورات الجمل، ط1، 2003م.
- العسكري. أبوهلال، ديوان المعاني، تحقيق: أحمد سليم غانم، تحقيق: أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1424هـ.
- العظم. صادق جلال ، في الحب والحب العذري، دمشق، دار المدى (سلسلة الكتاب للجميع) ، ط5، 2002م.
- ابن أبي عون، التشبيهات، تصحيح: محمد عبدالمعيد خان، جامعة كمبردج.
- علي. جواد، المفّصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، 1413هـ.
- عودة. خليل، هجاء المرأة في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي (من أعمال المؤتمر العام للغة العربية: قضايا الأدب والتحديات المعاصرة) ، غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، 2000م.
- الغذامي. عبدالله، النقد الثقافي، الدار البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 2001م.
- الفرزدق، ديوانه، بيروت ، دار صادر.
- فهمي. هالة، في هجاء الزوجات: دراسة في الشعر العربي، القاهرة،المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2008م.
- القيرواني. ابن رشيق ، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: د.النبوي عبدالواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1420هـ
- لابلانش. جان – برتراند بونتالس. جان ، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة: مصطفى حجازي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2011م.
- لبيب. الطاهر ، سوسيولوجيا الغزل العربي: الشعر العذري نموذجا، ترجمة: المؤلف، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية– المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009م.
- ليرنر. غيردا، نشأة النظام الأبوي، ترجمة: أسامة إسبر، البصرة وبيروت، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2013م.
- المانع. سعاد، الشعر والنقد والمرأة: دراسة لسمات المرأة المعنوية في الشعر العربي القديم وفي التنظيرات النقدية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد 13، العدد3، خريف1994م.
- المبرّد. محمد بن يزيد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، بيروت،مؤسسة الرسالة، ط2، 1413هـ.
- المتنبي، ديوانه، بالشرح المنسوب إلى: أبي البقاء العكبري، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرَين، بيروت ، دار المعرفة.
- المرزباني. محمد، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1415هـ.
- المرزباني. محمد، معجم الشعراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة الذخائر:93) ، 2003م.

- ابن المعتز، ديوانه، صنعة: أبي بكر محمد الصولي، تحقيق: يونس أحمد السامرائي ، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1417هـ.
- المعري. أبو العلاء، الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، القاهرة، دار المعارف (ذخائر العرب51)، ط2، 1404هـ.
- موسى. خليل ، المرأة المثال في الشعر الجاهلي، مجلة جذور، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ذو القعدة 1420هـ ج3 – مج2.
- الميمني. عبدالعزيز، سمط اللآلي (المحتوي على اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1354هـ.
- موكيالي. روجيه ، العقد النفسية، ترجمة: موريس شربل، سلسلة (زدني علماً)، بيروت وباريس، منشورات عويدات، ط1، 1988م.
- ابن ميمون. محمد بن المبارك، منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ط2، 1429هـ.
- هانئ. أبو نواس الحسن، ديوانه، تحقيق: أحمد عبدالمجيد غزالي، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الوهيبي. فاطمة، القتل بالشعر: دراسة في سيموطيقيا الثقافة، أبها وبيروت،نادي أبها الأدبي ودار الانتشار العربي، ط1، 2016م.